علي محمد العيسى

التمثيل تمثيل

فلماذا التمثيل؟

حقوق الطباعة والنشر
لكل ما كتبت شعراً ونثراً
مشاعة لمن يريد
نفعاً للشيء والمجتمع.

1446 هـ
2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أما قبل .. وأما بعد

المثاقفة تبادل المعارف والمعلومات الفكرية والأدبية شعرية ونثرية، وهي هنا في مجالات التربية ومجالات المجتمع، بكل أبعاد التطور والرقي والازدهار، ,, وكل يغني على ليلاه ,, ووسائل التواصل المتعددة اخترت الآن لمبرات اخترت الـ PDF لدوافع ومواقع لسهولة المواصلات.

وانتقيت من أتوسم فيهم كنخبة الأخذ برفده بيد المجتمع وناشئته إلى ما تصبو إليه الريادة الرائدة.

ولأني بلا اختيال ولا احتيال، ولا أزكي نفسي على الله - واسع الرفد، رحب الصدر، أقدّر عذر المعتذر فأرحب به يقول لي: شكرا، وعذرا لا أرغب في استمرار إرسال المواد الثقافية إليّ، لسبب بسيط، هو أنه ليس لديّ وقت فراغ، فحرصاً على وقتي وصولي وهوايتي، وحرصا على وقتك وجهدك - أفي علي - لا داعي للاستمرار في إرسال ما ترسله إليّ، مع التحية.

وشكرا من قلب محب، وسأتوقف برضا تام.

وشاكرا - من قبلي - على الأريحية، وروح الأخوة النقية

مع التحية من
علي العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

1447
2025

إيضاح .. يمنحني مزيداً من الارتياح

مؤلفاتي المتواضعة، نفدت - غالبا - من مكتبات البيع، والبديل عندي لتصل إلى الباحثين والدارسين والقارئين أنه أدونها في ملفات الـ PDF لتصل - ما أمكن - إلى من قد يجد لها نفعا للتربية والمجتمع والفكر والشعر، ريثما يتاح ولمن يتبنى نشرها.

وقد أخذت الكتب تسلسلا من 31 إلى 50 في PDF.

وهي لمن يرغب في الاطلاع والقراءة والمناقشة والحوار الذي غالبا ما يولد ثمرة من نتائج مفيدة في القبول والرفض.

• والحوار جادة للحياة بالعبارة إلى الرقي والازدهار ونقي الحضارة، بعد الوقوف المتعمق في مختلف السلبيات والإيجابيات. التي تقيم مفاهيم الحضارات.

والله الموفق لخير العمل وحمل الخير ما

• وكتبه يا على حمد العيسى، لتأخذ فكرة ومعلومات عن المؤلف.

مع تحيات
علي العيسى

علي محمد العيسى

التمثيل..

تمثيل..

فلماذا التمثيل.

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
إلا في حالتي الطباعة للتوزيع المجاني
أو العمل الخيري الإسلامي

توزيع مؤسسة الجريسي
تلفون: ٤٠٢٢٥٦٤
ص.ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١

علي محمد العيسى :

التمثيل

فلماذا التمثيل ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتـوى

مقدمة .....

أما قبل ٩

قطوف من حروف ١١

التمثيل ١٣

وقفات سريعة مع بعض الكتب: ٨٣

كتاب: البيان المفيد عن حكم
التمثيل والأناشيد ٨٤

كتاب: التمثيل، حقيقته، تاريخه،
حُكمُه ١٠١

كتاب: إيقاف النبيل على حكم
التمثيل ١٦٦

كتاب: حكم التمثيل في الدعوة
إلى الله ٢٥٨

المصادر والمراجع ٢٧٨

السلام عليكم

ما قرأ من تصفح :

أخي القارىء اللبيب :

تأملاتك وأفكارك هي التي تدرك أبعاد المفاهيم ، وتصل إلى غاية امتدادات المعاني عندما تتوقف دقيقة بعدما تقرأه في لحظات .

ما يبدأه غيرك تكمله أنت .

لست مشاهدا بل مشاركا .

وعليكم السلام

«رب ألهمني رشدي وقني شر نفسي»

علي محمد العيسى

الرياض : ١١٥٨٤ ص . ب : ٥٧٩٠٨

أمـا قبـل

إن من أفضل ما يقوم به الكاتب إذا أراد الكتابة أو شرع فيها أو حتى إذا فرغ منهـا أن يأخـذ من تفكـيره الحيز والزمن الأكبر للتفكير في الأفكار والآراء المعارضة لما يكتب عنـه. إذا توقـع منـطلقـات الإعتراض على ما يكتبه وأدلتها ثم قلّب الأمر على مختلف وجوهه، وعلى احتمالات جوانبه وزواياه سلبًا وإيجابًا، ونصّب نفسه حكما بين نفسه وغيره، فالمتوقع أن يصرف النظر عن كثير مما ينوي الكتابة عنه أو مما كتب، ولكنه سيجد نفسه قد أعطى فيما أجـاز من كتاباته مختبراً واختباراً يثبت له على الأغلب أن ما كتبه وأعلنه على الملأ

سيلقى قبولاً وتأييداً، وأن احتمالات الإعتراض عليه ضعيفة، وأن الإعتراضات عليه ـ إذا وجدت ـ ستكون في موضع الضعف ومؤيدة من القلة وأهل الآراء المرجوحة. هذا على الأغلب.

إن معارضة الكاتب لأفكاره قبل أن يكتب على سبيل الإختبار هي التي تقوده ـ بإذن الله ـ إلى الأصوب، وتلافي الخلل، وتحاشي مواطن الزلل.

والإعتراض حاصل، لكن المهم وجود الشعور إثر دراسته بمرجوحيته وضعف حجيته.

والله الموفق لعمل الخير، وخير العمل.

قطوف من حروف :

«اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة؟

فقال الآخر: على شرائط:

ألا تغضب، ولا تشغب، ولا تحكم، ولا تقبل على غيري وأنا أكلمك، ولا تجعل الدعوى دليلاً، ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت لي تأويل مثلها على مذهبي، وعلى أن تؤثر التصادق، وتنقاد للتعارف، وعلى أن كلاً منّا يبني مناظرته على أن الحق ضالته والرشد هاديه».

الجاحظ

يجب عدم الحكم على الكل بحكمٍ على جزئية من جزئياته أو حالة من

حالاتـه. بل يجب التفنيد، فيقال: هذه حسنة، وتلك لا بأس بها، وتلك سيئة إذا دخلت العمـل وارتبط بها أفسدته، وإذا خلا منهـا سلم من فسـادهـا، وبقى صلاحـه، الفـرع القـابـل للإصلاح أو الـزوال لا تُجتـث من أجـله الأصـول والجذور، والأخضر واليابس.

لا يحكم على الكل بحكم جزئية منه، إذا ذهبت عنـه، بقى الحكم عليه رغم خلاصه منها.

التمثيل

ضرب المثل أسلوب من أساليب الإفهام، ووسيلة من وسائل التقريب والإيضاح، ولذا تأتي أسئلة المدرس طالبة التعريف، وللإستكمال قد تتطلب التمثيل والدليل أو أحدهما، أي إيراد الأمثلة المبيِّنة للمراد. والأمثلة هي أكثر ما يزيل اللبس، ويوحد المفهوم، ويوضح الرؤية، ضرب المثل إما أن يكون قوليا شفويًّا، وإما أن يكون أيضًا تطبيقيًّا.

وقد ورد في القاموس المحيط عن كلمة مثل ما يلي باختصار واقتطاف ما له علاقة:

المِثْل والمثيل: الشِّبْه.

ومثّلَهُ له تمثيلا: صوره له حتى كأنه ينظر اليه.

وامتثله هو: تصوره.

وامتثل طريقته: تبعها فلم يَعْدُها. انتهى.

وإذا كانت المماثلة هي المشابهة والمتابعة، فإن الأمثلة والتمثيل محببان لدى المبلِّغ المتكلم لإيصال المراد كما هو أو بأقرب المعاني للمراد إلى المتلقي المخاطب. والتمثيل وسيلة إفهام متوسطى ومحدودى الذكاء.

والمثل تصوير قولي فقط. أما التمثيل فهو أبلغ لجمعه للكلمة والحركة، للحس والمعنى، للمشافهة والتجسيم.

والتمثيل أقدر على الإيصال إلى ذهن الفرد، كما أنه أقدر على الإيصال إلى مختلف المستويات الذهنية، فغير

القـــارىء، والقـــارىء بطىء أو ردىء الفهم، والقارىء أو المستمع الجيد الفهم لكنـه المتردد في معنى ما قرأه أو سمعه، سيجـــدون أن التمثيل أجـود إيضـاحًـا للمقصود، ويعزز تبيان غرضه بملابسات معينـة ومشاهدات رابطة لتحديد المراد. والتمثيل أرسخ في الذهن في مشاهده من القراءة في كتاب، أو السماع من محاضر أو خطيب قد يطيل فيُمل وينصرف الذهن عنه.

وهو ضرب من ضروب الإتصالات، وجسر من جسور نقل المعرفة، ونوع من أنواع التثقيف والتعليم والتبليغ، يسهم في مفهوم التنوع بمعنى إبعاد الملل، والتنوع بمراد الوصول إلى ذهن من يعجبه التمثيل فيتجاوب معه وينفعل ويتفاعل، وهو لا

يتفاعل ولا يتجاوب مع غيره من وسائل تربية وتوجيه وتعليم وتثقيف وتأديب أخرى، كأن لا يكون الشخص ـ وله أمثال ـ محبا للقراءة، أوْ ألاّ يكون محبا للمحاضرات، أوْ لا يكون محبًا لسماع الإذاعة، أو مشاهدة غير نادرة للتلفعيون أو سماع الأشرطة، أو حتى تصفح المجلات والجرائد. «الناس أجناس» ومنهم من يفضل أن «يقطف من كل بستان زهرة، ويغترف من كل بحر قطرة». ويحرص على مزيد من الفائدة فيتنقل بين جداولها لإبعاد الملل. وللتوسع في الإحاطة والإلمام. فلم لا يجرى التأثير الطيب في مثل هذا وفي المنغلق عن طريق الوسيلة المحببة اليه إذا كان من عشاق التمثيليات ورواد المسارح، أو من محبي

القصص التمثيلي ولو لم يكن من رواد المسارح، وإنما تجتذبه في المناسبات فيحضر من أجلها، ويتأثر بصورة غير مباشرة عند حضوره بما يسبق التمثيليات وما يلحقها من برامج توجيه وإرشاد وعلاقات، وذلك مثلما يجري على نحو تربوي سليم - إن شاء الله - في المدارس والمراكز الصيفية. ولو وجدت أخطاء في التطبيق، فالحل الأمثل أن تصحح الأخطاء. ولا يُلغى العمل برمته، إلا إذا ساء في ذاته ومضمونه.

والتمثيل وسيلة من وسائل التوجيه والتبليغ مثله مثل الصحف والكتب، والإذاعة، والتلفعيون، والندوات والخطب ولكل وسيلة خصوصيتها، ومحاسنها ومساوئها.

وإذا كانت بعض الوسائل تقتصر على فئة أو بالأصح على الخاصة، فإن ميزة التمثيل أنه للعامة والخاصة، وأنه من أجود السبل لإيصال المعاني، وأنه من أهم وسائل التوعية إذا كان المجتمع متخلفًا أو نامياً أو منغلقاً، أو حتى مستنيراً.

وأعداء الإسلام يسرهم أن يفتقد المسلمون إحدى وسائل رقيهم وتوعيتهم وواسطة من وسائط صحوتهم ونهضتهم لذا ادعوا أن التمثيل عمل تعبدي للكفار، وهي كلمة حق يراد بها باطل، وهي ليست حقاً مطلقًا، وإنما هي حقيقة وسيلة من وسائل العبادات لدى بعض غير المسلمين، لكن هذا الأمر لا يكفي لأن يتلقفه الغيورون من المسلمين

فيرفضوا التمثيل بإطلاق، بدعوى أنهم يرون فيه تشبها بالكفار، وأنه عمل تعبدي لهم!.

الكفار لهم معابد تسمى كنائس أو كنيس أو صوامع فهل نبتعد عن المعابد، أم أن لنا أيضا معابد هي المساجد وهي الأسلم الأصح والأبقى من ديانات السماء.

والكفار من وسائل تعبدهم الخطب في المعابد قبل مجيء الإسلام وبعده. ولم نهجر الخطب في المساجد وغيرها، ولكنها ليست كخطبهم فخطبنا للإيمان والإصلاح، وقصصنا للتوجيه والإعتبار.

والكفار يمثلون ويخطبون ويقرأون في معابدهم، ولكن المسلمين يرفضون

التمثيل كعبادة لأنه ليس في شريعتهم ما يدعو اليه، لكن شريعتهم لا تحوى أيضًا نهيا عنه كوسيلة وكأسلوب وكعمل مباح إذا خلى من أغراض التمثيل الديني لدى الكفار وخلى من الشوائب التي تتعارض مع مبادىء الإسلام.

وسواء كثرت أو قلت الإحترازات فإن ذلك مقبول منطقيًّا إذ الإحترازات واجبة وواردة، لكن غير المقبول أن يرفض التمثيل برمته بدعوى أن أنواعا فيه غير سليمة وتتعارض مع قيم ومثل الإسلام، والأمر السليم هو النظر إلى التمثيل على أنه مثل الإذاعة والصحيفة والتلفعيون و«المايكروفون». والشريط وحتى الكأس. ووجه الشبه أن السوء ليس في

الآلـة، ليس في الإناء، وإنما فيما يوضع به، فإن وضـع به مبـاح فأقبل عليه ولا تنفـر، وإن وضع به محرم فأهرقه وأغلقه وصُبّ على محتـواه جام غضبك. واليهود يصومون يوم عاشوراء، ونحن - بعد مجيء الإسلام ـ نصومه ولكن مع تغيير. ولم يكن فعل اليهود بصومه سببًا صارفاً للمسلمين عن صيامه وصيام يوم قبله أو بعده. وإذا نظرنـا ـ كمسلمين ـ إلى التمثيل على أنه ليس عملاً تعبديًّا وأنه لم يشرع في الإسلام كما هو في أديان أخرى سواء شرع لهم أو ابتـدعـوه فإن اعتبـاره من غير العبادات يجعله خاضعًا للحكم الفقهي :

في غير العبادات كل شيء مباح إلا ما نهى عنه بتحريم أو كراهية وللإحتراز من

الإطلاق يقال أيضًا: إن المباح لذاته إذا استعمل في محرم أو مكروه حرُم أو كُره. فالتمثيل يحرم إذا دعا إلى حرام وشر، ولكن لم يَحرم إذا احتوى على دعوة للخير والواجبات والحق والطيبات والقيم والمثل المطلوب نشرها.

والإجهاز على التمثيل برمته على اعتبار حرمته أو مكروهيته لذاته بصرف النظر عن محتواه ومضمونه يعد تعطيلاً لما يمكن أن يكون فيه نفع في مجتمعات ابتليت بتفرد الغث من التمثيل في التأثير الإجتماعي. «خلا لك الجو».

وكما أن التمثيل كله ليس عبادة، فالتمثيل أيضًا لا يعد كذبًا، لأن الكذب خداع وإيهام بأنه الحقيقة وليس تمثيلاً لها،

أما التمثيل فليس فيه إدعاء أن من يقوم بدور مدمن المخدرات، وما يلاقيه من مشكلات، وما يعانيه من آلام ومصائب وويلات، هو فعلاً مدمن مخدرات وهاهو الآن يسيطر عليه مفعول المخدِّر كما يُرى على المسرح، إذ لو كان الأمر حقيقة لقبضت عليه الجهة المعنية.

ولكن المشاهدين جميعهم يدركون أن ممثل متعاطي المخدرات يقوم بدور المنفِّر المحذر المنذر بتصويره حالة البؤس والشقاء والسوء، فيؤدي تأثيره القوى في الشباب والصغار بما قد لا يدركه تمامًا كل الكبار أو بعض الكبار، التأثير الصحي والنفسي والمالي والإجتماعي والأسري.

التمثيل والكذب يفترقان أكثر مما

يتفقان في الواقع والتأثير ومن يقول لك: هذه ليست حقيقة ثم يروى مالديه لا يعد كاذباً عليك ولو روى لك ما ليس واقعاً على مسرح الحياة، والقصص مثل التمثيل تروى صوراً خيالية، ولم نسمع بمنع القصص لذاتها إذا لم تكن واقعية واقعة. وبخاصة إذا كانت هادفة.

ومما قرأت في هذا الشأن ما قاله الشيخ الكريم محمد بن صالح بن عثيمين، ومما قال جواباً لسؤال:

«س»: إذاً الذي تراه أن التمثيل ليس من الكذب؟

«ج»: الذي أراه أنه ليس من الكذب، والناس يعرفون أن الرجل ما قال أنا فلان، والكذب مثل أن يقرع

عليك الباب فتقول: من أنت؟ فيقول: أنا فلان، وهو ليس فلاناً.

«س»: وإذا قال قصصا خيالية غير واقعية فما الحكم؟

«ج»: هذه الأحسن أن يقول لو قدرنا أو ضربنا مثلا، لأن الله يضرب الأمثال لأشياء غير واقعة مثل قوله تعالى: ﴿**ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكون**﴾[1] ﴿**وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم**﴾[2] وما أشبه ذلك، إذا صرح أنه مثل، وليس حقيقة واقعة، لعلاج مشكلة من مشاكل المجتمع فأرجو ألا يكون به بأس»[3].

---

١ - سورة الزمر آية رقم ٢٩.

٢ - سورة النحل آية رقم ٧٦.

٣ - البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد، جمع وتأليف عبد الله السليمان ص ١١.

ويجـرى الإختـلاف في الرأي مع من يعتقـد أن التمثيل أتى الينـا من الأديان الأخرى أو أتى الينا من الغرب في العصور المتـأخـرة، والحقيقـة أن التـاريخ العربي والإســلامي عرف التمثيل في بداياتـه، وبـوسـائـل مختلفة منذ ما قبل الإسلام، والإختلاف حصل في الوسائل وفي التطور والتغير اللذين يطرءان على كثير من أو كل الأشياء غير الثــوابت كتغــير المؤثــرات والـوسـائـل فميضأة المسلمين من قرون اخـتلفت عن ميضــآتهم الآن، والأمثلة الأخــرى كثــيرة، كالملابس والمفـارش والمراكب ومختلف الأواني والوسائل وحتى فرش المسـاجد ووضع لون مغاير لموضع القدمين بها.

إن قصة إبراهيم عليه السلام مع الأصنام حيث حطمها وأبقى كبيرها، لا يمكن أن يقال إنها كذب أو تحوى كذبا. ولا يمكن أن نقول إنه عندما قال ما معناه: إن الذي حطمها هو كبيرهم، لا يمكن أن نقول إنه كاذب ـ شرفه الله ـ ولكنه أورد قولاً غير حقيقي ليمثل لهم دورا يكشف عن أصنامهم في عجزها عن أن تنفع أو تضر أو تخبر، أى يضرب لهم مثلاً محسوساً بواقع «قدرة» أصنامهم المعدومة.

وأبلغ تأثير وأعمقه وأرسخه ما صاحب فيه القول الفعل والتطبيق، ولذا جاءت زيجات رسول الله ﷺ بأحكام فعلية راسخة متنوعة متعددة ساعدت على

ترسيخ أحكام التشريع الإسلامي في كثير من قضايا المرأة والزواج.

ويوسف عليه السلام لا نقول عنه من المنطلق السلوكي، إنه كان كاذبا ـ شرفه الله ـ ولكنه وضع السقاية في رحل أخيه، في قصة تمثيلية فعلية، ولم يكن إخوته سارقين ولا حتى من وجدت السقاية في رحله، وقد مرت القصة أمام المشاهدين دون أن تروى لهم كحكاية ورواية، وإنما شاهدوها على أرض الحياة ومسرحها وتابعها من تابعها حتى أنجلت الحقيقة فيما بعد، وبدت الحكمة في النهاية لمن لم تبدُ له من قبل.

وإخوة يوسف ظنوه سارقاً. وفي التمثيل، لا مَن على المسرح ولا مَن يشاهد

المسرح يمكن أن يعتقد أن التمثيلية تروى الحقيقة كما هي وإنما تروى حكاية لها أو لنقل محاكاة لها. والممثل لا يقول: أنا صاحب القصة ومن حصلت منه الحادثة، وإنما يقول: أنا أتقمص دور صاحبها لأمثل القصة وأرويها محاكاة وتقليدا لتقرب صورتها في أذهانكم إلى أبعد حد ممكن.

وقد يقوم الشخص في حقيقة الحياة بدور تمثيلي لشخصية لا توجد ولم تفعل، ولكن دورها في القصة لا يرتبط بشخص معين بذاته. كما فعل أخو يوسف حينما بدا في موقف السارق، وكما فعل إبراهيم عليه السلام عندما ظهر في دور من لم يحطم الأصنام، وكبيرهم حقيقة لم يحطم الأصنام.

قال تعالى: ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسٰرقون (٧٠) قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم(٧٢)﴾.

ثم قال تعالى فيما بعد: ﴿فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجٰت من نشاء وفوق كل ذي علم عليم (٧٦) قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل. . .﴾.

ثم قال تعالى: ﴿قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متٰعنا عنده إنا إذا

لظالمون﴾(٧٩) سورة يوسف، ومن قبل ألقوا يوسف في غيبٰت الجب وقالوا أكله الذئب.

فها هو أخو يوسف يقوم بدور سارق ولكنه ليس سارقاً حقيقيًّا وإنما هو «سارق» تمثيلي. كما أراد سياق القصة وهدفها.

ويلاحظ أنه قام بدور سيء الفعال ممقوت الأعمال، ولكنه لم يأخذ عند الله ثم عند الناس حكم السارق والنظرة اليه.

ويقول الله سبحانه في سورة الأنبياء: **«وتالله لأكيدن أصنٰمكم بعد أن تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون (٥٨) قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين (٥٩) قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم**

﴿(٦٠) قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون (٦١) قالوا ءأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم (٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم إن كانوا ينطقون (٦٣)﴾.

فكبيرهم لم يكن حقيقة محطم الأصنام، ولا يقال عن إبراهيم عليه السلام بأنه كاذب ـ تنزه عن الصفة ـ ولكنه قام بهذا الدور وأبقى على كبير الأصنام لدور تستخلص منه العبرة والحكمة، فدور كبير الأصنام دور محطم الأصنام التمثيلي وليس الحقيقي. والقيام بدور سيء أو بالدور السيء لا يضير إذا كان يحقق مصلحة ويدفع مضرة أو أحدهما ـ ولهما ببعضهما إرتباط ـ

ويستخلص عبرة مفيدة.

وقال تعالى في سورة الذاريات:

﴿هل أتك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلم قوم منكرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه اليهم قال ألا تأكلون (٢٧) فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلم عليم﴾ (٢٨).

ظنهم بشرا ولذا جاء لهم بعجل سمين، وكانوا ملائكة لا يأكلون، ولم يكونوا «حقيقة» بشر، ولم يعلم بذلك إلا بعد أن قرب الأكل اليهم فلم يأكلوا.

وأخت موسى عليه السلام ما أخبرت عن الرضيع أنه أخوها، وإنما قالت في قوله

تعالى: ﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له نٰصحون (١٢)﴾.

ولم يكن فرعون يعلم أن مرضعة موسى ليست سوى أمه الحقيقية ولكن الدور التمثيلي لا الحقيقي لأخت موسى عليه السلام جعلت الحقيقة تغيب عن آل فرعون.

وقال الله تعالى: ﴿وهل أتٰك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١) إذ دخلوا على داوٗد ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغىٰ بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (٢٣) قال لقد

ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت وقليل ماهم وظن داوٗد أنما فتنّه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤)﴾سورة ص.

والنعجة: المرأة، جاء في تفسير القرطبي لهذه الآيات أربع وعشرون مسألة، لكن ما يتعلق بموضوعنا هنا ننقل منه ما يلي:

«النحاس: ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يراد به هاهنا ملكان»..

«... فقالوا: إنهما جبريل ومكائيل».

«وإذا شاهدت الكوة التي يقال إنه دخل منها الخصمان علمت قطعا أنهما ملكان لأنها من العلو بحيث لا ينالها إلا

علوي». قال الثعلبي: وقد قيل: كان المتسوران أخوين من بني إسرائيل لأب وأم، فلما قضى داوُد بينهما بقضيه، قال له ملك من الملائكة: فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود. قال الثعلبي: والأول أحسن، أنهما كانا ملكين نبها داوُد على ما فعل».

«قال محمد بن إسحٰق: بعث الله اليه ملكين يختصمان اليه وهو في محرابه ـ مثلا ضربه الله له ولأوريا فرآهما واقفين على رأسه، فقال: ما أدخلكما عليّ؟ قالا: «لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض، فجئناك لتقضي بيننا»..

«الماوردي: وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين، ولا يتأتى منهما

كذب، وتقدير كلامهما: ما تقول إن أتاك خصمان قالا بغى بعضنا على بعض».

وسواء كانا ملكين أو أخوين من بني إسرائيل، فإن دورهما تمثيلي غير حقيقي، وليس لهما خصومة، وإنما أرادا تمثيل قصة داود مع أوريا ليحكم فيها وهو ليس أحد طرفيها، والمسألة تمثيل في تمثيل، والتمثيل ليس من الضروري أن يكون على خشبة المسرح، أو مسرح الحياة مشاهدا من جموع أو مشاهدا من أفراد، أو مشاهدا في جهاز نقل إعلامي، إذ قد يكون مقتصرًا على أبطاله. وعلينا ألا نتخوف من كلمة التمثيل في موضعها الحقيقي واللغوي المناسب، فهي أيضًا عربية وذات مدلول ومعنى وارد قديمًا وحديثا وليست

ككلمات: دكتور، بروفسور، تِرْم، هالو. التي نستعملها مستوردة ولا نحس بغضاضة بما فيه الكفاية أو لا يحس بعضنا بذلك، بينما يغضبنا التمثيل حتى وهو بإمكاننا أن نكيفه كما نريد ووفق ما نعتقد ونتبع.

ويلاحظ أن الملكين قاما بدور خصمين، وهو دور لعمل ردىء وسيء، فالملائكة لا يختصمون، ولكنه الدور التمثيلي لاستخلاص الحكمة والعبرة والمراد من ذلك. وكله بإرادة الله ومشيئته وأمره.

ومن الكتاب إلى السنة:ـ

٣ ـ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا. قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت. قال:

فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم أنطلق، فلبثت مليا، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم» رواه مسلم[1].

للدعوة والتوعية والإرشاد والتوجيه والتربية وسائل عدة أبرزها وفي مقدمتها الكتاب والسنة، وبقية الوسائل لابد أن

---

١ - منهاج الصالحين ص ٨٠.

تستمد معانيها ومقاصدها من الكتاب والسنة، تلك هي الوسائل الموضوعية والمعنوية والفكرية، أما الوسائل الإدارية والفنية والأساليب والطرق فهي أيضًا متنوعة لتحصيل مختلف الفوائد ومواجهة كل الظروف، وللإبتعاد عن الإملال، وللتخول، ولينـاسب أسلوب الأفعال والمقال مقتضى الحال، ولتستغل وسائط التشويق في التوجه إلى الخير بدلاً من أن تأخذ مسارا آخر ضارا.

لم يرد ذكر حديث عمر - رضي الله عنه - إلا لإيضاح أن التنويع في أسلوب التوجيه والتعليم محبذ، وأن الإشكال يأتي في اختلاف المضمون لا في الأسلوب المنتقى لجودة تأثيره ومناسبته لعرض

الموضوع المراد عرضه وابلاغ الناس به وإفهامهم مؤدّاه.

تعليم الناس الإسلام ومبادئه وكتبه وقيمه وأخلاقياته لا يأخذ بالضرورة صيغة الإلقاء والتلقين والخطابة والحديث المباشر فتلك روافد من الروافد في الطرق والأساليب، وإنما قد يأخذ أساليب أخرى مؤثرة ومشوقة ومثيرة للإنتباه كالمحاورة، ولو جاء أحد طرفيها في دور السائل بينما هو في الحقيقة عالم بما يسأل عنه، وإنما الهدف غير مباشر، وهو تعليم «الجمهور» السامعين والمشاهدين. ولتستوقفنا في الحديث الشريف هذه النقاط التالية:

١ - «بينما نحن جلوس» دليل على وجود جماعة مشاهدين ومستمعين رضى الله عنهم أجمعين.

٢ ـ «إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر» تغيير في الهيئة، والرجل لم يكن إنسانا وإنما كان ملاكا هو جبريل عليه السلام، جاء في صفة إنسان ولبس ثيابه، وله شعر ويدان وركبتان.

٣ ـ محاورة سائل يعلم ما يسأل عنه. فهو إذاً يعرض ما يقال على السامعين والمشاهدين، لا ليتعلم هو، خلافا لعادة السائلين.

٤ ـ طريقة من طرق التدريس قام بها جبريل عليه السلام قال عنها ﷺ: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

ولم يأخذ أسلوب التعليم صيغة التعليم المباشر بالإلقاء في كل حين، وكل

مناسبة، فجبريل عليه السلام ما ألقى عليهم المعلومات سردا ولم يخبر بها محمدًا لينقلها محمد صلى الله عليه وسلم لأصحابه ملقاة مشافهة أو مقروءة مسرودة، وإنما جاءت المعلومات للحاضرين من الصحابة رضوان الله عليهم، وللآخرين إلى يوم الدين في هذا الحديث في صيغة أدبية تمثيلية، مثل فيها جبريل عليه السلام دور رجل يسأل ويستفسر وليست هذه الصيغة لازمة في كل حال ومقال، وإنما هي للمراوحة بين الأساليب ليؤدى كل أسلوب دوره من زاويته التي خصه الله بها، وبخاصة أن المتلقين فيهم الكبار والصغار، والعلماء والجهلاء والأذكياء وغيرهم، والنابهون والغافلون.

وهـذا مثل آخر بدأ أول أمره في عهد رسول الله ﷺ وانتهى في نهاية فتح المدائن في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في طريقهـما إلى المـدينـة النبوية من مكة المكرمة مهاجران، ومما قاله ﷺ لسراقة بن مالك بن جعشم أمير بني مدلج رضي الله عنه الذي لحق بهما معاديا قبل أن يسلم، فلما واجههما حصلت أمور منها ما يهمنا هنا الآن وهو قول رسول الله ﷺ لسراقة وقد قفل راجعا:

«وكيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى؟!».

فقال: كسرى بن هرمز؟!

فقال: «نعم.. كسرى بن هرمز»[1].

١ - صور من حياة الصحابة / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ٧ ص ١٧.

ونـنـتقــل في كتــاب صور من حياة الصحـابـة إلى ص٢٢ من الجزء السابع لنقرأ مما استقاه من كتب السلف:

« . . . . فلما وضعت الغنائم بين يدي عمـر نظر اليها في دهشة، فقد كان فيها تاج كسرى المرصع بالدر».

وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب.

ووشاحه المنظوم بالجوهر.

وسواراه اللذان لم تر العين مثلهما قط.

ومالا حصر له من النفائس الأخرى.

فجعـل عمر يقلِّب هذا الكنز الثمين بقضيب كان في يده. ثم التفت إلى من حوله وقال: إن قوما أدوا هذا لأمناء.

فقال له علي بن أبي طالب [رضي الله عن عمر وعنه] وكان حينئذ حاضرا: إنك

عففت فعفت رعيتك يا أمير المؤمنين، ولو رتعت لرتعوا.

وهنا دعا الفاروق رضوان الله عليه سراقة بن مالك، فألبسه قميص كسرى وسراويله وقباءهُ[1] وخُفيه، وقلده سيفه ومنطقته[2]، ووضع على رأسه تاجه، وألبسه سواريه.. نعم سواريه. عند ذلك هتف المسلمون: الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. ثم التفت عمر إلى سراقة [رضي الله عنه] وقال: بخٍ بخٍ. أعرابي من بني مدلج على رأسه تاج كسرى، وفي يديه سواراه!!

---

١ - القباء: الثوب.

٢ - المنطقة: حزام يشد على الوسط.

ثم رفع رأسه إلى السماء وقال:

اللهم إنك منعت هذا المال رسولك، وكـــان أحب اليك منى وأكـــرم عليك. ومنعته أبا بكر وكان أحب اليك مني وأكرم عليك وأعطيتنيه، فأعوذ بك أن تكون قد أعطيتنيه لتمكر بي.

ثم لم يقم من مجلسه حتى قسمه بين المسلمين.

ولعـل لدى الحـافظ ابن كثير في هذا المـوضـوع ما يستحسن انتقاء مقتطفات منه[1] وها هي:

«. . . بعث سعد بن أبي وقاص أيام القـادسية إلى عمـر بقبـاء كسرى وسيفه ومنطقته وسواريه وسراويله وقميصه وتاجه

---

١ - البداية والنهاية جـ ٧ ص ٦٨.

وخفيه، قال فنظر عمر في وجوه القوم، وكان أجسمهم وأبدنهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا سراق قم فالبس، قال سراقة: فطمعت فيه فقمت فلبست فقال: أدبر، فأدبرت، ثم قال: أقبل، فأقبلت، ثم قال: بخٍ. بخٍ.. الخ.

وبعد استطراد قال عمر: إنزع، فنزعت.

وفي ص ٧٠ ما نصه:

«... فلما أصبح جاء عمر في الناس، بعدما صلى الغداة وطلعت الشمس، فأمر فكشف عنه جلابيبه، فلما نظر إلى ياقوته وزبرجده وذهبه الأصفر وفضته البيضاء، بكى عمر، فقال له عبدالرحمن: ما

يبكيك يا أمـير المؤمنـين؟ فوالله إن هذا لموطن شكـر، فقـال عمـر: والله ماذاك يبكيني، وتالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاسدوا إلاّ أُلقى بأْسُهم بينهم ثم قسمـه كما قسم أمـوال القادسية» انتهى.

[وهذه أموال وقعة جلولاء]

نخلص من هذا الإستـطراد الـذي نتوخى فيه الفائدة والعبرة إلى الرجوع إلى النقـاط التي تعيدنـا للمـوضوع المطروق موضع النقاش هنا والإهتمام فنستخرج ما له صلة وعـلاقـة، ونستنبط المـطلوب، ونستنتج الغـايات والمراد والمؤدى والنتائج الدالة في مسألة التمثيل وبدايات وجوده ومسـألـة التشبـه فيه بغـير المسلمـين،

ونستخلص بهذا الصدد مما روى أعلاه ما يلي :

١ ـ أن الرسول الأمين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم أخبر سراقة بما سيفعل مع حوائج كسرى، ولم ينهه عن فعل ذلك، على أنه تشبه بكسرى في زيه وزينته.

٢ ـ كان سراقة أجسم القوم وأبدنهم قامة، وهذا مما يجعل القيام بالدور الكسروى أكثر إتقاناً.

٣ ـ الزينة المبالغ فيها والفخفخة، ولبس المحرمات لم تحل دون عمر رضي الله عنه في أن يأمر سراقة باللبس، ولم تمنع سراقة من الفعل، ولكن الفارق بين في الغرضين، ولم يكن ذلك تاماً لمخالفة

الشارع، والمسألة تمثُّل، وليست طبعًا أو تطبعًا.

٤ ـ من استكمال عملية تمثيل كسرى إثر لبس واستعمال كل مخلفاته الكسروية إدبار سراقة ثم إقباله، وفي هذا تصور لكسرى من خلال «تشبه» أو «تمثيل» سراقة رضي الله عنه لكسرى في لباسه وزينته فقط، لا في الأمور الأخرى كرّم الله الصحابة عنه وعن أمثاله، وهو تمثيل للعبرة واستخلاص حكمة، وليس تشبه إعجاب وإكبار ومتابعة ولا يعني تقليد الممثل لمن يمثله أنه معجب به، أو أنه يقدم عنه دعاية لصالحه وما هو عليه، وإنما قد تكون المسألة عكسية، فتحوى من التذكير ما يثير التفكير، ويدفع إلى التحقير والتشيين والتهوين.

والهـدف يتحدد من التمثيلية والممثل وأسلوب العرض ومدى التوفيق فيه.

في لبس سراقـة وإقبـاله وإدباره بزينة كسرى لم يتخيل المشاهدون إلا كسرى، كسرى بن هرمز. لم يكن سراقة رضي الله عنه يمثل ذاته وهو يضع على رأسه تاجًا من ذهب وجواهر، ولا نقول عن سراقة إنـه ممثـل لمجـرد القيام بدور لم يتجـاوز الدقائق، لأن من يوصف بأنه الممثل إنما هو من يحترف أو يهوى التمثيل، لكنه مثل دوراً وإن لم يأخذ رضي الله عنه صفة الممثل.

وهي التي إرتبطت في زماننا هذا بمعاني وصفات رديئة، وذلك لأن ذوي الصفات الـطيبـة لم يقفوا من التمثيل موقفًا إيجابيًّا

للإستفادة من إيجابياته فيتولد فيه ممثلون ذوو صفات طيبة، ويستفاد من جدوله الشهدى في محاربة ومنافسة الجداول الخمرية والكفرية الآسنة إن صح وصفها بالجداول، والتي بقيت في الحقول وحدها يشرب منها كثير من نشء الأمة بدون تنقية.

وفقد الناشئة وسيلة من وسائل الإيضاح وأسلوباً من أساليب التوجيه والتعليم والتربية والتشويق والتأثير غير المباشر للموقف السلبي منه ومن تطويره، كما فقد ناشئة غير المسلمين أسلوبا من أساليب الدعوة الذكية، وخلا المجال لأعداء التربية والدعوة الإسلامية فاستأثروا بلا منازع ولا منافس بتوجيه

الفئتين، وإن تفاوتت درجات النجاح ونسب الفشل.

التعميم في رفض التمثيل جرف الخير والشر معا، والأولى والأعلم والأحكم والأسلم نبذ الشر وجذب الخير. وإن بدت السلبية «أريح» أى أكثر راحة.

هل أثمر لبس سراقة للباس كسرى غير حمد الله وتكبيره على أن مكن الله المسلمين من هذا المتكبر المتبختر المتجبر، فصارت العاقبة التحقير لا التوقير.

ولو تتبعنا في زمننا هذا دور التمثيل في قصص الشاشة والمسرح في التأثير على المجتمعات وتوجيهها وبناء مقوماتها وتأسيس أركانها ومبادئها وقيمها وعاداتها لأستغرق الأمر الكثير من الجهد والوقت

لإيضاح جانبي السلب والإيجاب، ما تحقق وما فقد.

ولكن لنكتفي بمثال ورد في مجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، ففي ص١٢٣ من العدد ٣١ كتب الشيخ الكريم صالح الحصين ما يلي:

«. . . وقد ظل العالم المسيحي يكره اليهود ويشنع عليهم أخذهم الربا، ومن آثار ذلك المسرحية المشهورة لشكسبير (تاجر البندقية) عن المرابي اليهودي، وقد ظل اليهود يتألمون من هذه المسرحية ويكافحون ضد ظهورها، ولولا أن القيمة الأدبية لها قد حمتها لكانت قد اختفت من

الآثار الثقافية . . . » . وقد ورد ذكر بطل المسرحية اليهودي «شيلوك» في مجلة البيان العـدد ٤٩ رمضان ١٤١٢هـ في قصيدة للشاعر عبدالرحمن بارود ص٥٠ .

الأدب الـتـمثيلي سلاح من أسلحـة القلم واللسان والبيان، وهو من الأسلحة المهيئـة والمعَدَّة والمعِدّة لغيرها مما يستطاع من قوة. وهو سلاح ذو حدين، ليس من الحكمة إهماله، وإنما الحكمة أن يحسن استعماله.

وقـول أن الـتمثيل قد يجر إلى حرام وفساد وإنحدار ليس قولا مقنعا بأن يمنع التمثيل ولكنه مقنع بأن يُنقى التمثيل فلا يجاز ولا يباح فيه ما يحرم ويفسد.

و «سد الذرائع» يجب ألا يُحمّل فوق ما

يحمل، وألا يكون سببًا في تحريم مباح ووسائل لا حرمة فيها وإنما فيما يدخل عليها. هل نكسر الكؤوس لأنه قد يشرب فيها الخمر، وهل نمنع بيع العنب أو الزبيب لأنه قد يصنع منهما خمر!.

التمثيل في حد ذاته مثل الكأس ومثل العنب، يحكم عليه حسب استعماله وهو في المباحات مباح، وهو في التوجيه الصالح مستحسن محبب محبذ. إنه جمع جيد لقدرة اللفظ مع قدرة الحركة للتصوير والتأثير.

ولننظر إلى ما تضمنه الحديث المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...».

والحـــديث طويل ومنـه «وبينـا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهـة وشارة حسنة، فقالت أمه: اللهم إجعل ابني مثل هذا، فترك الثدى وأقبل اليه فنـــظر اليه فقـال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع» فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي إرتضـاعـه بإصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها...» الخ الحديث[1].

ألا يعرف الناس معنى الرضاعة؟ إنهم يعرفون، ولكن المحاكاة هنا أبلغ في أداء المعنى حيث الجمع بين اللفظ والحركة، الـتعبـــير والتمثيل، صلى الله وسلم على معلمنا المعصوم.

---

١ - منهاج الصالحين / عز الدين بليق / ص ٨٥٥ رقم الحديث ١٤٨٧.

وورد حديث بعد هذا الحديث في نفس المرجع رقمه ١٢٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث متفق عليه يروى قصة امرأتين تنازعتا على طفل تدعى كل منهما أنه ابنها فأمر سليمان بن داود ﷺ بإحضار سكين ليشقه بينهما، فاعترضت الصغرى على شق الطفل فحكم به لها. ص٨٥٧.

فهل صدق سليمان عليه السلام في رغبته أن يشق الطفل بالسكين؟ لا شك أنه لم يكن ليفعل.

هل كذب عليه السلام؟ تنزه نبي الله عن أن يوصف بذلك.

ما الذي فعل إذاً؟

إن ما قام به تمثيل يحتاجه التحقيق في

القضية لكشف الحقيقة، ليست فيه حقيقة الصدق ولا مضرة الكذب.

وفي الحديث رقم ١٤٩٢ الذي رواه البخاري بعدة روايات عن إبن عباس رضي الله عنه قال: «جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت. . . » ص٨٥٩.

والحديث طويل جدًّا، لكن الشاهد فيه، أن إسماعيل عليه السلام بعدما تزوج خرج يوما يصيد فلما جاء قال لزوجته:

«هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة، وأثنت عليه، فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير.

قال: فأوصاك بشيء؟

قالت: نعم، يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك.

قال: ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك». إ. هـ.

يلاحظ أن إبراهيم عليه السلام لم يخبر الزوجة السابقة واللاحقة. بعلاقته بإسماعيل عليه السلام، وجاءهما في دور شيخ غريب، ولو علمتا عنه لربما تغيرت طبيعة التعامل والتفاهم.

وفي باب فضل الزهد ورد الحديث رقم ٤٦٣ عن أبي ذر رضي الله عنه وهو حديث طويل، ومنه قال رسول الله ﷺ:

«ما يسرني أن عندي مثل أُحُد هذا ذهبا تمضي على ثلاثة أيام وعندي منه

دينار، إلا شيء أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا وهكذا. عن يمينه وعن شماله وعن خلفه». [1] إ. هـ ص ٢٢٥.

لم يكن في يده ﷺ شيء، وهو يقول: هكذا وهكذا وهكذا عن يمنيه وعن شماله وعن خلفه، ويحاكى من في يده شيء ويعطى، وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يقول ما لفظه أو معناه: إلا أن أوزعها على عباد الله.

ولكن تمثيل حركة الموزع فعلا، ومحاكاة فعله أبلغ في التعبير والتأثير، إنه تشبه بمن في يده مال يوزعه رغم أن المتشبه لا مال في يده وقتئذ.

---

١ - رياض الصالحين للنووى.

وفي فصل عن «قصص الرسول» جاء هذا الحديث المتفق عليه[1]. وقد رواه أبو هريرة رضي الله عنه، وهو طويل ومنه: «أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا...».

ومن الحديث قول الملك لكل منهم «رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك...».

فهذا الملك جاء إلى الثلاثة في صورة وهيئة رجل مسكين فليس هو حقيقة رجلا مسكينا، ولا هو ممن يقال عنه كاذب أو

---

١ - منهاج الصالحين / عز الدين بليق / ص ٨٥٠ رقم الحديث ١٤٨٤.

كذاب، وإنما هو هنا يمثل، والتمثيل درجة بين الصدق والكذب في كثير من الأحوال التي لا تهدف إلى الكذب ذاته ومثالبه، ولا تلتزم بالصدق المجرد إذا كان سيفوِّت منفعة منشودة ومصلحة خيرة تهدف إلى حكمة مؤثرة وفائدة حميدة. ولا يلام الملك هنا فيقال له: إن الله يحب أن ترى آثار نعمته على عبده، فلم تظهر بمظهر المسكين. الحالة مختلفة، والمعنى مختلف.

إن كثيراً من القصص التربوية التعليمية قد لا تكون وقعت فعلاً أى ليست حقيقية، وإن كانت قابلة للحصول، ولكنها تؤدي إلى توجيه سليم، وكيف يقال عنها إنها كذب، وربما يوجد

من يدعو للإقلاع عنها بدعوى أنها كذب بينما منها ما هدفه وقصده محاربة عادة الكذب الضارة، ولو بدت النجاة فيها، مثل قصة الراعي الذي صاح مستغيثًا لحمايته من الذئب فلما أقبل الناس اليه مسرعين للدفاع عنه وجدوه كاذباً مازحاً. فلما كرر ذلك، حصل فيما بعد أن جاءه الذئب حقيقة فصاح مستغيثاً فلم يغثه أحد حيث ظنوه كعادته كاذبا، فأكله الذئب.

مثل هذه القصة الموجودة في مناهج التعليم وهي من الموضوعات العديدة المحمود وجودها في كتب الدراسة المربية للنشء، لا يقبل تفسير نقل، ولا إلهام عقل أن ينهى عنها على اعتبار أنها كذب أو

ينهى عن التمثيل المفيد على أنه كذب.

ولننظر إلى ما قاله الله تعالى عن طرف آخر ليس من طرفى الحديث عن التمثيل، طرف ثالث تجاوز في احترازاته، وسد الذرائع، وغلا، ووصل به الأمر إلى التساهل في مسألة صعبة هي التحليل والتحريم. «ومحل ما حرم الله كمحرم ما أحل الله» كلاهما تقول وتجرأ على الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿**قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون (٥٩) وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون**..﴾ سورة يونس آية ٦٠.

وما دام أن الحكم الفصل والحاكم القاطع هما الكتاب والسنة فما ذكر من قبل هو ما جاء في الكتاب وما ورد في السنة، أو بالأصح نماذج مما ورد فيهما. والأدوار التي قام بها ملائكة لتقرير مبدأ ونشر فكرة، ولو وقف منهم من وقف في موضع ليس من طبعهم الوقوف به كالشجار والبغي في قصتهما أمام داؤد عليهم السلام. أو وقوف بشر موقف السارق كأخ يوسف عليه السلام، لا مبرر لمنع الإقتداء والإحتذاء بهم في مواقف تمثيل إيجابية كتمثيل شخصية صلاح الدين أو عمر المختار أو روايات تشجع وتحث على مكارم الأخلاق، أو مواقف تمثيل سلبية إيجابيتها في نتائجها كتمثيل دور المخمور أو

متعاطي المخدرات وما يصيبه من وهن وإهانات وحالات داعية للإشمئزاز والتنفير وخاصة بين النشء الصغير، وما يصحب التمثيل من احتقار لمتعاطي المخدرات، وكيف أنه والمخمور يتعرضان للتقيؤ والأذى والذل، وأن المخمور في بداية أمره كالقرد، وآخر أمره وساعة سكره كالخنزير يختلط مخاطه بقيئه ببلادة حسه وعدم شعوره بنفسه، فيكون موضعا سهلا للعبث به والسخرية منه. تمثيل هذه الصورة أو ما دونها، ربما تؤثر في إنقاذ الناشئة أكثر من تأثير آلاف الخطب.

ولذا جاء من ضمن وسائل التعليم الربانية الأمثال والعمل التطبيقي التمثيلي كما في قصة جبريل عليه السلام مع

الـرسـول ﷺ والجمهـور الـذي حضر المحاورة بينهما، وكان هدفها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام أتى ليعلمهم أمور دينهم.

ولـو افـترضنـا أن التمثيل في العـالم الإسـلامي وسيلة حديثـة، فإن الوسائل الحديثة إذا كانت نافعة غير ضارة أو يمكن إبعـاد الضرر منهـا وعنهـا لا يمكن دينيًّا رفضها مادامت ليست من العبادات، أو من المبتدعات في العبادة.

وها هي المحاضرات وشكل الندوات ومن يديرها، وكيفية التعليق عليها ومكانها وكـراسيهـا ووسـائـل نقـل الصوت فيها ولبـاس المـوجـودين وغـير المـوجـودين للمشاركة فيها تختلف كثيراً عما سبق.

فلماذا التمثيل فقط.

وبما أن الديانات الأخرى سابقة للإسلام فأمر طبيعي أن تسبق إلى كثير من الوسائل، ولا يعني سبقها إلى فعل شيء حرمة ذلك الفعل أو أنه يكره فعله، فقد يفعل كما هو في شكله العام دون مضمونه وقد يعدّل حتى شكله، ففي العبادات صمنا عاشوراء كما صام اليهود مع تعديل بإضافة يوم، وبناء على توجيه من رسول الله ﷺ، ومن قبلنا حتى من غير أهل الأديان السماوية كانوا يتحدثون، ويخطبون، ويتحاورون، ويمثلون، ويشعرون أى يقولون الشعر، ويقصون القصص، وينشدون، ويحدون الإبل وغيرها، ويحاضرون، ويقيمون الندوات.

وفعلنا ذلك لا تقليداً لأحد، ولكن لأن ذلك أسلوب ونمط عيش وحياة، ولم يكن محتوى عملنا وغايته كغاية غيرنا، فالذهاب إلى مكة المكرمة مثلاً هو الذهاب، لكن يذهب اليها من حجه مبرور، ويذهب اليها من حجّت بدلا عنه العير.

والتمثيل كغيره وسيلة يستمد الحكم عليها من المضمون، فإن سلم من المحرمات فهو وسيلة مباح تباح معه بإذن الله، وإن ولغ في المحرمات حرم مادام ملازماً لها.

والتطوير يصاحب كثيراً من الأمور، فالأدب كلمة تطورت معانيها الإصطلاحية ومعانيها الشائعة على مدى

الزمن منذ ولدت حتى الآن.

والتاريخ كان يضم علم الإجتماع ثم إنفصل علم الإجتماع عنه واستقل كعلم منفرد ثم تولد عن علم الإجتماع علم جديد استقل هو بدوره وهو علم النفس، وتفرع علم النفس إلى علوم فرعية عديدة.

والبلاغة بها إنشاء وخبر. وقسم البلاغيون الخبر إلى قسمين:

١ ـ ما يحتمل الصدق.

٢ ـ وما يحتمل الكذب. وهما الخبر الصادق والخبر الكاذب.

فهل نستبعد أن يقسم الخبر إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الصدق.

٢ ـ الكذب.

٣ ـ التمثيل.

فلا يأخذ التمثيل حكم الكذب ولو جاء به شيء من صفاته، ولا يأخذ صفة الصدق ولو جاء به شيء من صفات الصدق لا توجد في الكذب.

والتمثيل حقيقة لا يعد صدقا صراحا، ولا كذبا بواحاً.

ولم يقل صغير ولا كبير إن الذي مثل دور ابن باديس أو يوسف بن تاشفين كان كاذبا لأنه ليس ابن باديس ذاته، وأن الذي مثل دور المخمور لم يكن صادقاً وإنما هو كاذب فنحن نعلم أنه لا يشرب الخمر، هل سنسمع من يقول: مع الأسف أنه كذاب أصيب بعادة الكذب

السيئة؟ هل مسارح المدارس لا يقف عليها إلا كذابون؟!

إن كل شيء ـ ما عدا الثوابت ـ يتغير أو هو قابل للتغير وليس الوسائل فقط، وسائل التأثير والتوجيه، بل حتى الأمثال، لقد كان أحد الأمثال يقول: «جوع كلبك يتبعك» فصار الآن مع العلم والوعي «جوّع كلبك ينهشك أو يبلعك».

إذاً التمثيل وسيلة وآلة متطورة إذا خليت من المضار صارت آلة حرث فكري وزراعة مُثُل نافعة.

أليس تمثيل الموضوع وسيلة إيضاح أبلغ من الشرح الشفوي النظري.

ثم إذا تضمن حديث الناس كذبا، هل يمنع الحديث أم الكذب؟!

وإذا تضمنت المحاضرات كذبا، هل تمنع المحاضرات أم الكذب؟

وإذا تضمنت الندوات كذبا، هل تمنع الندوات أم الكذب؟

وإذا تضمن التمثيل غشاً وكذبا، هل يمنع التمثيل أم الغش والكذب؟

وإذا تضمنت الكتب أو الصحف غشا وكذبا. هل تمنع الكتب والطباعة والصحف أم يمنع ويحارب الكذب والغش وتبقى الطباعة والنشر للصالح.

هل إذا ساءت تغذية الطلبة في المدارس أو غيرها، مثلاً، تغلق المقاصف أم تصحح أحوالها.

وإذا وجدت أخطاء في الكتاب المدرسي يُلغىٰ الكتاب برمته أم تصحح

أخطاؤه ويبقى نافعه.

وإذا شحنت سيارة أو باخرة بالمخدرات هل تحرق السيارة مع إحراق المخدرات وتُغرق السفينة، أم يقتصر الإعدام على المخدرات، وتبقى السيارة أو السفينة لتستخدم في أغراض أخرى؟

التمثيل سفينة تحمل الخير والشر والمسئول عنها هو الملام وليست هي الملامة إذا لم تقتصر على الخير وتبتعد عن الشر.

التمثيل إذاً تمثيل، ضرب مثل فقط.

فلماذا التثميل؟

التمثيل - كما سبق ذكره - وسيلة من وسائل التوجيه والتوعية والتحذير، رافد من روافد الثقافة، وجدول من جداول التربية يتميز بالجمع بين العلم والتسلية وتبسيط الفهم، ومشاركة الحركة مع التعبير في تفسير بعضهما البعض وإيصال المعاني ولفت النظر إلى المراد.

التمثيل أداة إصلاح لمن أراد الإصلاح، يتميز أيضًا بأنه يجتذب الصغير والكبير، ويتفاهم مع العالم والأمي، فليس كالكتاب يختص بالمتعلم.

التمثيل يبين المحاسن إذا حسن استعماله واستغلاله، وينفر من المساوىء،

ويدل على طرق الخير والسبيل القويم، يسهم في تبصير الناس، ويقوى العزائم، ويسر الصديق والأمة، ويغيظ العدو ويكشف للعامة والخاصة ألاعيبه ونواياه.

التمثيل النظيف النقى عامل من عوامل النجاح والهداية وسداد الرأى وإضاءة السبيل القويم، وكم يتوقع أن يكون بداية لهداية ضال لم يكن قابلاً أو متشوقًا لسماع خطبة أو قراءة كتاب أو الإصغاء لنصيحة.

التمثيل لا يصل إلى درجة القرآن الحكيم ولا الحديث الشريف الهادي ولا الفقه السديد، ولكنه لا يقارن بذلك لأنه وسيلة، فهو يقارن فقط بوسائل التعليم وأدوات أو آلات أو عوامل أو عناصر

التعليم كالخطابة والأشرطة، والندوات والمحاضرات، والمحاورات. والشعر والقصة والرواية والمقالة والكتاب والمجلة.

فإن خدم الإتجاه الصحيح فهو سليم صحيح، وإن خدم الإتجاه الفاسد وألهىٰ وشغل عن الصحيح. فهو جدير بالرفض المحدد لأسباب رفضه، لا الرفض الذي لا يبقى ولا يذر، ويجرف الشر والخير معا، ويأكل الأخضر واليابس، ويحرق وسيلة النقل مع إحراق البضاعة المحرمة المنقولة بها، ولو قيل لنا: إن الإحراق الشامل لواسطة النقل جهل، فماذا نقول للقائل فيكون قولنا صائبا، في شأن رفض التمثيل لرفض ما قد يعترى موضوعه؟

إذا كان بالكأس خمر هل نريق الخمر

ونكسر الكأس، أم نريق الخمر ونغسل الكأس ونشرب لبنا أو ماء؟ هل سيرمينا بالحمق من يرانا أو يسمع بأنا أفرغنا كأس الخمر وبعد غسلها شربنا في ذات الكأس لبنا أو ماء؟

الأمثلة لا حصر لها، ولكن بعضها يؤدي المراد منها.

والذريعة هي الوسيلة، والسد المطلوب للوسائل والذرائع عندما لا يكون بالإمكان تحاشي وتلافي السوء إلا بسد الذريعة وتعطيل الوسيلة على طريقة المبدأ المضاد «مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

أفلا يأتي القول؛ بأن مالا يتم التخلص من الشر إلا بالتخلص منه فإنه

لا بد من التخلص منه، أولا يلاحظ أن مطلب التخلص منه مشروط بأنه لا يتم التخلص من الشر إلا به.

وقفات سريعة مع بعض الكتب التي اهتمت بموضوع التمثيل

كتاب: البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد

جمع وتأليف الشيخ الكريم عبدالله بن عبدالرحمن السليماني.

نقلت في أول هذا الكتاب مما ورد في كتاب البيان المفيد في ص١١ جوابين للشيخ الكريم محمد بن صالح بن عثيمين. ومنه عبارة «لأن الله يضرب الأمثال لأشياء غير واقعة... الخ».

وفي ص٤٤ من كتاب البيان المفيد، قرأت هذا الحوار:

ج - يعني أشرطة؟

س - نعم.

ج ـ إذا كانت أشرطة لا بالله يا أخي ما تصلح هذه.

س ـ ما تصلح؟

ج ـ لا. أنا ظننت أنها أشياء تفعل مثلا في عمل أو شيء من هذا مافيه مانع، أو سماعها من إذاعة. إ. هـ.

لفت نظري أن الأناشيد المعنية لا يصلح سماعها من الأشرطة، ولكنه يصلح من الإذاعة أو أن تفعل مثلاً في عمل أو شيء من هذا. الموضوع يتعليق بالأناشيد الإسلامية، ولأنه ليس موضوع هذا الكتاب فلن أتوقف عنده، ولكني أدعو القارىء المهتم بالموضوع إلى الرجوع إلى الكتاب المشار اليه: البيان المفيد، ليقرأ كامل الموضوع فلا يقتصر على فقرات

قصيرة نقلتها منه. الفائدة لا تتم إلا بالإطلاع الكامل التام.

وإن كثيراً مما ورد في الكتاب وبخاصة ما يتصل بالتمثيل لن أتوقف عنده مكتفياً بأن قارىء الكتابين وربما كتب أخرى، إذا مر فيها بمسألة فسيتذكر رأى الكتاب الآخر في تلك المسألة، ولذا لا داعي لتكرار الحوار. وقد يخضع الإضطرار للتكرار.

والوقفة السريعة مع كتاب: البيان المفيد ستكون مع الخاتمة في ص١٠٦.

فقد أورد المؤلف في تلك الصفحة وخمس صفحات بعدها إلى ص١١١ مسائل محددة كخلاصة ونتيجة للبحث في موضوع التمثيل بلغت تسع عشرة مسألة

أو نقطة. بعضها قد يُتفق معه فيها كليًّا أو جزئيًّا، وبعضها قد يُختلف معه فيها كليا أو جزئيًّا، وبعضها يأتي الإختلاف في التعليل، كتعليل أن تمثيل الصحابة رضي الله عنهم في الحقيقة سخرية بهم.

فقرة رقم ١ ص١٠٦.

«أن يجتنب الكذب جميعه» هذا متفق عليه مع المؤلف على ألا يعد التمثيل في حد ذاته كذبا، وهذا ما يبدو أن المؤلف موافق عليه بدليل دعوته إلى اجتناب الكذب مما يدل على عدم دعوته اجتناب كل شيء ولأنه دعا إلى اجتناب الكذب في التمثيل وغيره.

٣ ـ «ألا يكون فيه تمثيل للعبادات عموماً».

هذه المسألة موضع نظر في بعض الأمور، فلو قام المدرس أمام تلاميذه بتمثيل عملية الوضوء، ليعرفهم بذلك تطبيقياً، ولو قام داعية بشرح كيفية الركوع والسجود ووضع اليدين والقدمين والركبتين لمسلمين أو غير مسلمين على النحو التطبيقي الموجه توجيهاً دقيقاً سليماً، فإن ذلك لا يشعر بارتكاب محظور وتركه قد يعد إغفال عمل مفيد وقد سمعت في أحد الأشرطة الإسلامية أن الحسن والحسين رضي الله عنهما رأيا شيخاً لا يحسن الوضوء فطلبا منه بأدب أن يحكم بينهما في أيهما الأحسن وضوءاً وتوضيا أمامه، وأدرك غرضهما التمثيلي وحسن أدبهما، وبلغا مرادهما.

٤ ـ الآية التي استشهد بها ليست دليلاً على منع تقليد الحيوانات وإنما هي دليل على أن رفع الصوت والصراخ يشبه من الحيوانات ـ وبالذات الحمار ـ النهيق ﴿**وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾ ١٩ لقمان، فالصخب المنبوذ شبه بالنهيق ولم يشبه رفع الصوت بتغريد البلابل، وزقزقة العصافير.

٦+٧ لا أدري ما المانع من تمثيل دور أبي جهل أو موسى ديان أو شارون أو غيرهم إذا أريد من التمثيل إيضاح الواقع وأفضي فعلاً إلى تحقير الكفر والشرك وأعداء الإسلام، وتعظيم الإسلام وعز المسلمين. والتمثيل يؤثر في الأميين كما

يؤثر في الفاسقين والمارقين والمنافقين والكفرة والملحدين أكثر مما يؤثر الكتاب والخطاب. ويقول المؤلف: «فإن ذلك لا يجوز» ص١٠٨ ولم يورد دليلاً على ذلك ولا مرجعاً أو إشارة إلى موطن الدليل في الكتاب.

ولا يمكن أن نستدل بدليل منع التشبه بالكفار أو الفاسقين في مسألة التمثيل المحقر لهم وليس للإعجاب بهم، وإلا لقلنا للشاب الصالح التقى الذي لديه موهبة إجادة التمثيل: لا تمثل دور متعاطي المخدرات وما يصيبه من ويلات ومشكلات وحسرات، ولو كانت إجادتك للدور فعالة منفرة أشد التنفير جميع الحاضرين أو المشاهدين أو معظمهم مما

يراد بحماس ورغبة أكيدة التنفير منه والتحذير والتنبيه إلى خطورته، وخطورة عواقبه على أمة الإسلام والبشرية جمعاء.

التشبه الممقوت من أسوأ مظاهره الداعية إلى مكافحةٍ هو ما نراه الآن على ملابس بعض الشباب والشابات والأطفال من كتابات ورسوم وأشكال غير مرضية، ومن الكتابات ما لفظه يوافق بذيء الكلامٍ في اللغة العربية مما يندى له الجبين خجلاً من قراءته.

أن تشبه شاب صالح بمتعاطى مخدرات على المسرح لا يجعله إثر نزوله من المسرح يُنظر اليه النظرة إلى شخْص سيء، والإنطباع عن صلاحه لم تشبه شائبة ولن تشوبه. والمتوقع أن يقال له: أجدت

التمثيل والتأثير.

٨ ـ تمثيل دور أحد الصالحين، علل نفيه بـ «أنه قد يكون ذلك ازدراء لهم أو اغتيابا لهم أو تنكيتا عليهم» وماذا إذا لم تكن هذه الثلاث حاصلة؟ مع ملاحظة مفهوم كلمة «الصالحين». وليس من اللازم تساوي المشبّه والمشبه به، فنور الله ـ وله المثل الأعلى ـ شبه بالمشكاة. وهي دونه. والشبه جزئي لا كلي مقيد لا مطلق. ويكفي الإنطباع عن الإعجاب بالصالحين في تمثيل دورهم للثناء عليه.

٩ ـ الممثل هنا ناقل كفر وليس بالضرورة كافر.

١٠ ـ السب والشتم في موضوع التعريض والذم والتحقير والتنفير

والإستنكار لتلك العادة الذميمة لا ضير فيه تمثيلاً، فالعبرة بالمراد، والأعمال بالنيات ومن المهم إدراك ماذا سيفهم المشاهدون من وراء ذلك، فلذلك أهمية كبرى في تحديد الموقف.

١٢ ـ «ألا تلهى عن الصلاة وعن ذكر الله . . . » الخ.

هذه المسألة لم ولن يختلف عليها المسلمون، حتى لو اختلفت آراؤهم في فروع أخرى. فالتمثيل وحديث المجالس وغيرهما ما يلهى منها عن الصلاة مرفوض وممنوع.

١٤ ـ التشبه بأهل الكتاب في اللبس وغيره، لا يرفض في التمثيل لأنه إنما يأتي لاستكمال صورة الموضوع وفي موضع

النقد، أما إذا لمس من وراء ذلك الإعجاب والدعوة إلى التشبه فمتفق مع المادة ١٤ على ذلك. لكن إذا وجد التشبه للدعوة إلى المعارضة لذات التشبه وعواقبه ومنزلة فاعله الحقيرة الإمعية فإنه أسلوب معالجة لا يحسن إغفاله وإقفال بابه. ولعل الإعتبار هنا للعلة، ولا يطرأ على بال أحد أن الهدف هنا التشبه، كما يفعل الذين يلبسون «البنطال» و «الفنايل» المرسوم عليها صور، أو المكتوب عليها كلمات أجنبية بحروف لاتينية.

إن تشبه الممثل مقتصر على فترة التمثيل ولا يعني الرضا أو يعكس الإعجاب بالضرورة بالممثَّل.

إن دور الممثل يشبه إلى حد بعيد دور

سراقة بن مالك رضي الله عنه عندما لبس ملابس كسرى، وسار في لباسه وتاجه ذهاباً ومجيئاً.

وكسرى أسوأ من أهل الكتاب، ولا ينبغي التشبه بالجميع على سبيل الإعجاب.

١٧ + ١٨ ـ كل مالا يجوز في القول أو الكتابة لا يجوز في التمثيل مالم يرد في مجال النقد والنهي عنه، والممنوع هنا ليس التمثيل، وإنما ما قد يدخل فيه ويطرأ عليه مما هو في أخلاقيات الإسلام منبوذ مرفوض، كالتشدق والغيبة.

١٩ ـ التمثيل، والكتابات التربوية والإجتماعية في الصحف والكتب، لا تعد عبادات كالصلاة والصيام وقراءة القرآن.

والزكاة والحج والطواف، ولكنها إذا خليت من الشرور وكافحتها، واحتوت على الخير وقادت إلى خير، فلا يتوقع بإذن الله إلا أن يثاب فاعلها بشرط لازم هو ما ذكر يضاف اليه للتأكيد خلوها من كل المنكرات.

والممثل الملتزم والمؤلف المسرحي إذا عملا في خدمة أغراض صالحة وجاءت دعوتهما التمثيلية إلى الجهاد أو مكافحة الفساد أو إرشاد العباد إلى تقديم مافيه نفع البلاد والعباد فإنهما مثل الخطيب والكاتب بل والداعية والمهندس والطبيب والمدرس الصالحين المستقيمين. والعمل الخير الصالح يثاب فاعله، مثلما أن العمل الضال الفاسد يعاقب فاعله. وهل من يؤثر في الناس بخير يقال له: لا ثواب

لك. والله كريم لا يعلم السر فقط، وإنما يعلم ما هو أخفى.

وقد جاء في ص٤٢ من كتاب البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد.

«س: وما حكم المسرحيات والتمثيل؟

ج: وأما التمثيل ففيه كذب، في الحقيقة فيه كذب، وفيه حكاية والمقصود بالحكاية تصوير الهيئات يعني أن يصور أعرج أو قصير أو طويل أو أعمى فهذه الحكاية غير لائقة في الحقيقة ولا تسلم تمثيلية ولا مسرحية من شيء من ذلك وإنما أمر وشر عظيم اعتم الناس ونسأل الله العافية».

التمثيل: ضرب مثل يصور فكرة أو واقعة بالحركات والأصوات والأشياء

المعينة على تكامل التمثيل والتصور بطرق تسهِّل الفهم، وتجتذب الإنتباه، وتعرف على ملابسات الأحوال، وتيسر وصول المراد إلى مختلف قدرات الأذهان المتفاوتة في مدى إدراكها.

وتصوير الهيئة ومحاكاة البشر يعتمد الرأى فيهما على الهدف منهما فإن كانا للسخرية فهما مرفوضان، وإن كانا لهدف نبيل إسلامي أخلاقي إنساني كما فعل جبريل الذي حاكى البشر بإرادة الله في شدة بياض الثياب وشدة سواد الشعر وغيرهما: فإن المحاكاة هنا لخير وهي خير، تعد شرحاً تطبيقياً، ودرساً عملياً، ومن ذلك تعليم الصغار الوضوء، ومحاكاة الرسول ﷺ لكيفية رضاع الطفل ثدى أمه

وذلك بوضعه ﷺ أصبعه في فمه. وقد مر الحديث في أول هذا الكتاب.

وأما أن التمثيل كذب، فالكذب يندرج مفهومه على ما يروى على أنه صدق وهو خلاف ذلك. أما ما يروى على أنه قصة خيالية، أو قصة حصلت منذ قرون أو سنين فمعروف سلفاً أنه لم يصحبه إدعاء بحصولها لأول مرة في ساعات تمثيلها، وقد تعاد التمثيلية عدة ليال.

والكذب ما يخدع، لا ما يضرب مثلا للإعتبار أو نستخلص منه حكمة ومنهجا ومنطقاً مقنعاً وتوجيهاً رائداً. كقصص إبراهيم مع الأصنام ويوسف عليهما السلام، وقصة توبة العبد وفرح رب العالمين سبحانه بها كما يفرح المرء بالعثور

على راحلته التي عليها شرابه وزاده ومتاعه بعد يأس، ثم يقول من شدة الفرح والعجلة: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، إنها رواية تصوير وتشبيه وتمثيل لم يرد ما يؤكد حدوثها فعلاً، ولكن تنزه الله سبحانه إذا أورد المثل أن يقال بأن القصة على بساط الواقع لم تحدث إذاً هي ليست صحيحة.

أو أن يقال مرادف عبارة: ليست صحيحة، في جانب قول الله جل وعلا.

كتاب : التمثيل
حقيقته، تاريخه، حكمه

إعـــداد

الشيخ الكريم : بكر بن عبدالله أبو زيد

قرأت للشيخ الكريم كتبا منها :

١ ـ حكم الإنتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية .

٢ ـ براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة .

٣ ـ التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير.

٤ ـ معجم المناهى اللفظية (يختص بالمنهى عنها شرعاً في نحو ٨٠٠ لفظ) .

ولكن الـذي يهم الآن لموضـوعـه هو كتاب: التمثيل، والوقفة السريعة مع هذا الكتـاب تأخـذ في حسبـانها أن معـظم القـواعـد والآراء والأدلـة والحجج به لا داعي لتكـرار ذكـر المـوقف منهـا إذ أن القارىء ذاته إذا قرأها وقرأ الكتب التي لا ترى رأى الشيخ سيتـذكـر ويتصور الرد ونقض الحجـج أو نقض النقض، ولو لم يقترنا في سياق موطن واحد وربط مباشر، ولكن من المضمون ما قد يستوجب توقفا عنده إما لوجود جديد وإما للأهمية والتأكيد.

ففـي ص٣ بيّن الـشيخ الكـريم أن «التمثيل أصبح في الحياة المعاصرة (فنا) له رواده ومدارسه وطرائقه. . . ».

«... فصار بهذا يشغل حيزاً كبيراً في حياة المسلمين ...».

وفي ص٤ يقول الشيخ الكريم: «...لأن تصرفات المسلم لابد أن تكون محفوفة برسم الشرع في دائرة نصوصه وقواعده وآدابه».

ولا خلاف على هذا، والإختلاف إنما يأتي فيما يعد أولا يعد في دائرة نصوص الشرع وقواعده وآدابه. وهذا يعرض عليه التمثيل وغير التمثيل. وقد يجرى الإختلاف حول مفهوم دائرة النصوص والقواعد والآداب، فليس من المؤكد الإتفاق مع المؤلف في قوله في ص٥٩: «إن التمثيل لو كان جائزاً بشروطه لوجب في هذا الزمان الإفتاء بمنعه وتحريمه لما

يشاهد في بلاد المسلمين من . . . . » .

فالتمثيل بشروطـه المنقية له من كل الموانع لو كان جائزاً في نظر المؤلف لوجب تحريمـه!! وقـد ذكر الأسباب والتعليل، ويبدو أنها تنصب على الموجود من التمثيل غير المراعى للشروط، فانصب طلب المنع حتـى على الـتـمـثيل بشروطـه. وختم الكتـاب بقـول المؤلف: «ولا ينـازع في الواقع هذا إلا جاهل به أو ممالى» .

وعـلى المخـالف أن يختـار بين الجهل والممالأة، فهل يترك الإختلاف ولو لم يقتنع ليسلم من التجهيل والممالأة؟!

ويقـول الشيخ الكـريم في ص٤: «ولنـرى بعـد: هل من يستمزجها؟ (له خيال) أم فيه (خبال)؟» .

إن التمثيليات يستمزجها كثيرون، فهى تشغل حيزاً كبيراً في حياة المسلمين كما ذكر الشيخ في ص٣. ومهما كان المراد من كلمة خبال حسب تعدد معانيها في القاموس، فإن هناك من قد يعد العبارة مما يقال عنه: التعبير الصحفي لا التعبير الدعوى.

فلو عبّر منتقدُ خلطٍ بقوله: «سمك، لبن، تمر هندي» لقيل هذا تعبير صحفي رغم أنه مجرد مثل لا يحوى شتما ولا سبا. وإنما يعني التداخل واستعمال أمور في غير ما تأتي معه. والجمع بين مالا يستحسن الجمع بينه.

ولو وجد: كاتب مفكر صاحب رأى ومحاكمة عقلية.

وكاتب حافظ يتذكر النصوص المترابطة.

وكـاتب ناقل يجيد التحقيق والتعامل مع التصنيف والمراجع والمصادر والفهارس والتبـويب و «الببلوقرافيا» وما إلى ذلك، فإن من الخلط إذا برزت موهبة أحدهم في فنه أن يُعتقد أنه بارز في فنون زميليه وأنه أهلٍ حتماً ليكون مرجعاً فيما يجيده ويجيدانه أيضًا، قد يكون مفكراً، ولا يكون محققاً، أو حافظاً، وقد يكون العكس.

ولـربـما وصف التعبير الصحفي أحد الناس بما يسمى: البراقماتية والدوقماتية، وهمـا تعبـيران أجنبيان لم أعثـر في اللغـة العربية على كلمة واحدة لكل منهما تشرح مراد كل كلمة باحتواء ودقة. فالواصف أو

الموصوف إنما ينهجان أو ينهج أحدهما المنهج الصحفي والخطابي المثير أكثر من المنهج الفكري الهادىء الذي يستخدم الدليل الدقيق المطابق لمدلوله، فلا يمدّ دليله بقوة تمسكه به فقط، ولو لم تكن به قوة من قبل.

هذان الضربان لا نود لتعبير الشيخ الكريم «. . . أم فيه خبال» أن يلحق بهما في الصفة الصحفية لا الدعوية.

ويلاحظ مما ورد في الكتاب ما يلي:

ص٤ عن التمثيل «المبحث الأول: ذكر ما كتب في هذه **النازلة** تبعا أو استقلالا».

ص٢٦ عن التمثيل «وأعلم أن القسم الثالث لا أعلم به قائلاً ولا أحسب له

قائلاً من علماء الملة».

ونص القسم الثالث هو:

٣ ـ أم الإباحة لأصله وموضوعه والنهي لما يحف به من بعض المحرمات فيكون من باب تحريم الوسائل؟».

وفي ص٤٣ «عاشرا: أجمع القائلون بالجواز المقيد على تحريمه في حق أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام. .»الخ.

فأولا: هل هؤلاء القائلون من علماء الملة؟.

وثانياً: كيف رصد إجماعهم؟ ما مصدر تأكيد ذلك؟

وفي ص٣٠، المسلم الذي يمثل دور مشرك بالله فيسجد لشجرة من دون الله. هذا الأمر يأتي في مسألة تحريم التمثيل

لموضوعه وليس تحت عنوان: توجيه تحريم التمثيل لذاته ص٢٧.

وفي ص٣٠، قال المؤلف: «وأما إن كان التمثيل في (العادات) فهذا تشبه بأعداء الله الكافرين، وقد نهينا عن التشبه بهم، إذ لم يعرف إلا عن طريقهم، والنهي عن التشبه بهم (أمر بمخالفتهم)».

والخطابة والشعر والندوات والمحاضرات والكتابة والظهور في «التلفزيون» والحديث في الإذاعة، والكتابة في الصحف، والتصوير وظهور الصور في «التلفزيون» وغيره، كل هذه الأمور وغيرها إما أنها عن طريق الكافرين جاءت كالخطابة والشعر أى قبل الإسلام. وأقرها الإسلام وإما أن بعضها

المتأخر حدوثه كالصور والأحاديث التلفزيونية والإذاعية عرف عن طريقهم أيضًا، فَلِمَ يُفرد التمثيل بحمل تبعة هذه التهمة؟

هذا إذا لم يقتنع المحاور بأقدمية التمثيل وأنه وعاء من أوعية الثقافة وأسلوب من أساليب التوجيه، وكوب لا يحرم هو كآلة، وإنما يحرم ما فيه إذا وضع به محرّم.

ومن يقر التمثيل عليه ألا يقر موضوعاته ومضمونه لدى الكافرين، وإنما يخالفهم بألا يضمن التمثيل محرما أو منهيا عنه. وبهذا لا يكون متشبها بهم بل مخالفاً لهم.

والرسول ﷺ صام عاشوراء وخالف

اليهود في كيفية الصيام فصام معه يوما قبله أو بعده.

لو رجعنا إلى ما وصف بالبراقماتية، لوجدنا من يقول هنا: هل صيام رسول الله ﷺ لليوم العاشر من محرم ويوم قبله أو بعده مثل التمثيل. اللهم إني أبرأ اليك من هذا.

كيف يشبه صيام رسول الله ﷺ بالتمثيل؟!

والواقع يقول إنه لم يشبه هذا بذاك.

ولكن الإقتداء برسول الله ﷺ والتمسك بعدم التشبه بأعداء الله لا يجعل هذا التشبه يفهم في غير موضعه ومراده.

فاليهود قبلنا لهم طريقتهم في ذبح الذبائح، ونحن بعدهم في الإسلام نذبح

كما يذبحون، ولم يعد ذلك تشبها بهم، وظلوا أعداء الله وأعدى أعداء المؤمنين.

ولعل التشبه المنهى عنه هو ما يتصف بحرمة، وما يؤدي إلى خير لهم أو مع شرٍّ لنا معشر المسلمين، بل إن التشبه هو مالا هدف له إلا المتابعة والتقليد أو ذلك أحد أهدافه.

أما التمثيل ففي الوقت الذي يعترض عليه علماء من المسلمين، يحارب وجوده لدى المسلمين اليهود والنصارى وغيرهم من الكافرين إلا إذا كان متمشياً في المجتمع الإسلامي على النحو المفسد الذي يريدونه، أما التمثيل النقي الموجه الموقظ المنهض مع الوسائل الأخرى، وفي مقدمتها الأساسيات والأصول: القرآن

الكريم والسنة الهادية، مثل هذا التمثيل يحارب ويسر أعداء المسلمين من محاربته، وللمثال كشاهد على ذلك، الممثلون الفاسقون تُروج أفلامهم وتستعاد ذكريات وفاتهم، أما الملتزمون بحدود لا تكفينا ولا نقرها كحدود وإن جرى إقرارها منهم أو من آخرين، هؤلاء الملتزمون إلى حد غير كافي يتم تجاهلهم ومحاربة أفلامهم من قبل الأشخاص والشركات التي يديرها كفار ومن يعينهم، وتطوى سير تلك الأفلام وأولئك الممثلين كلما سنحت الفرصة لذلك، فهذا مثلاً ممثل اسمه: حسين صدقي يرفض المسلمون فيلمه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه، وفي نفس الوقت يرفض اليهود والنصارى ذلك

الفلم لا لنفس أهدافنا، ولكن لهدفهم.

والشاهد هنا ليس الدعوة لإقرار الفلم، وإنما إيضاح أن التشبه بهم يُمقت إذا أضر بالمسلمين وتعاليم الإسلام وسرهم، ورفض تمثيل الصحابي لا علاقة له برفض التمثيل لذاته، وإنما هو ضمن رفض التمثيل لموضوعه أو لما يحفّ به، فاذا تغير الموضوع لم يرفض التمثيل.

وأما قول المؤلف: «وقد نهى الله سبحانه عن الخوض فيما يخوضون فيه، فقال تعالى: ﴿**كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت**

أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ التوبة ٦٩.

فإن الموضوع الرئيسي هنا هو الإستمتاع بالخلاق والخوض، ولو لم يسبق إلى ذلك من كانوا من قبل، فإن حكم الإستمتاع بالخلاق والخوض هو إحباط الأعمال والخسران، الذنب ذنب سواء سُبقت إلى فعله أو لم تسبق أيها المذنب في كل زمان ومكان، ويعظم الإثم إذا كان المذنب عالما بذلك مقدماً عليه وهو منهى عنه.

وتتجلى عدالة الله ـ وهي الأعدل دائماً ـ في أن من كانوا من قبل ومن لحقوا إذا أقدموا على الإثم خسروا وحبطت أعمالهم.

وما يخوضون فيه هنا هو الموضوع لا الوسيلة، وموضوع التمثيل يمكن بل ينبغي مخالفتهم فيه، أما التمثيل لذاته فهو كالشريط الآلة، أفلا نسجل عليه كلاما مفيداً لنا مغايراً ما يسجلون هم عليه أو فيه، أو لأنهم صنعوه لا نسجِّل عليه!

«**والحكمة ضالة المؤمن**» فلو وجدها ولو عند كفار أخذها وهو أولى الناس بها.

فها هو «فيلم» باكستاني مدته أكثر من ثلاث ساعات يُمنع عرضه في بريطانيا، وتضج منه بريطانيا كلها وأوروبا والغرب، وهو يصور إجرام اليهود في فلسطين أرض الرسالات والأنبياء والمقدسات وتأثيره وتأثير أفلام كفيلم عمر المختار، والرسالة، مع التحفظ على مسألة تمثيل

الصحابة رضوان الله عليهم، تأثير هذه الأفلام أقوى من تأثير عشرات المقالات والكتب والخطب والأشرطة المفندة لعدد كبير من بني الإنسان ما نود إطلاعهم عليه مما يسر أمتنا ويسوء عدونا، ويتفق مع واجبنا تجاه الدعوة إلى الله وإلى دينه القويم.

ولا يعني الإقرار بالواقع ومدى التأثير هنا تزكية تلك الأفلام وخلوها من المخالفات، لكن الرفض يجب أن يتركز بعقل ودقة وفطنة وحكمة وسداد رأي على المخالفات لا على الأخضر واليابس، والطيب والسيء، فيجرف السوء الطيِّب والخير معه.

إذا حصلت أخطاء في «مقصف»

المدرسة لا يغلق المقصف وإنما تصحح الأخطاء، وكذلك التمثيل والأفلام والأشرطة والصحف والأطعمة التي قد يختلط بها خنزير أو محرم آخر، تنقّى منه، ولا يحرّم المباح منها، والتنقية لا تجري فيما تم فيه الإختلاط، وإنما فيما قبل عملية الخلط في مماثل الوصفة. وهكذا.

وفي ص٣١ يقول المؤلف الكريم:

«والله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء**﴾.

فقوله سبحانه ﴿**لست منهم في شيء**﴾ يقتضي البراءة منهم في جميع الأشياء.

والمتابعة في بعض الشيء يكون التابع له من المتبوع في ذلك الشيء».

والآية رقمها ١٥٩ في سورة الأنعام. وقد قال عنها تفسير القرطبي ج٧ ص١٥٠ ما يلي:

«﴿لست منهم في شيء﴾ فأوجب براءته منهم وهو كقوله عليه الصلاة والسلام «من غشنا فليس منا» أي نحن برآء منه».

ثم قال القرطبي: «... وقال الفراء: هو على حذف مضاف، المعنى لست من عقابهم في شيء، وإنما عليك الإنذار ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم» انتهى.

وأقل ما يقال عن هذا الشاهد أنه لا يصلح لما استشهد به عليه، وهو التمثيل. لأن التمثيل ليس منهم ولهم فقط، وإنما

هو لكل من يأخذ به فهو مشاع، والذي لهم منه نوع معين فقط كتمثيل آلام المسيح مع تمثيل المسيح عليه السلام ذاته.

وإن دخل التمثيل في نظر البعض بهذا المعنى فلماذا يخرج منه الأشرطة وتنظيم الندوات بل والمحاضرات والمناظرات الشعرية التي سبقنا اليها ليس فقط أهل الكتاب بل المشركون والجاهليون بعامة، وكذلك حديثا جاءنا منهم الهاتف و«المايكروفون» و«الفاكس» والصحف والإذاعة و«التلفزيون» ولوحات المحلات التجارية والإعلانات فهل نقلع عن هذه الأمور وأمثالها لتفسير بعضنا بأنها منهم في شيء؟! ومن الناس من يرى

صور التلفعيون و «الكاميرا» عكوساً للصور كالمرآة، وليست صوراً مرسومة باليد بقلم أو ريشة أو نحت.

وهذا كتاب ترجمة عنوانه تقول: «التاريخ المختصر للأدب الإنقليزي» تأليف: آيفور إيفانز. وفيه يقول في ص١٧٨: «في السنوات التي سبقت إغلاق المسارح رسمياً من قبل المتزمتين المتطهرين سنة ١٦٤٢م... الخ».

وفي ص١٨٠ يقول المؤلف: «عندما عاد تشارلز الثاني لإعادة البناء والترميم سنة ١٦٦٠م. المسارح أعيد فتحها».

وهذا نص الفقرة الأولى:

In the years before the theatres were officially closed by the Puritans in 1642, there was little new development in the drama. Rather it would seem

that the old themes were being played agian, though with added excesses.

وفي كتاب قائد بلكان (البجعة) إلى الأدب الإنقليزي من دون إلى مارفيل

ـ ٣ ـ يقرأ مثل هذا النص في ص٣٠: «المسرحيات كانت السم الزعاف وفساد عقل وسلوك الإنسان...».

وإذا كان هذا رأى وموقف الأحبار والرهبان من الكفار فهل من يقف مثل موقفهم المعارض من المسرحيات والتمثيليات يكون متشبها بهم وعليه أن يبرأ من التشبه بهم، أم أنه له وجه اعتراضه ولهم وجوه اعتراضهم ولو اتفقا في الإعتراض العام.

كما أن للموافقين على التمثيل وجه موافقة يختلف عن وجه أو وجوه موافقة

الكفار على التمثيل، ولو اتفقا في الموافقة العامة لكن لكل قوم مسلكهم وشروطهم ونمط مرادهم المختلف عن الآخر.

والإعتراض على ما يطرأ عليه الفساد يدعوه داعي الإصلاح إلى أن يصلحه ولا يقوض صالحه وفاسده على السواء.

أمرنا بمخالفة كتابيين في مسألة الصلاة بالحذاء فهم يخلعون أحذيتهم وعلينا أن نصلي بأحذيتنا، فلما تغيرت الأحوال وتحول الواقع ووجدت المبررات، أصبح الناس يصلون وقد خلعوا خارج المسجد أحذيتهم فهل في ذلك تشبه بالكفار؟ ليس هذا هو المراد من خلع الأحذية، وإنما السبب أن المراحيض تغير طابعها، وكانت الأحذية تسلم من

النجاسة في السابق، أما الآن فدورات المياه بوضعها «المعاصر!» تحتم وجود النجاسة بالحذاء بل حتى وبأسفل الثوب الطويل، ولوجود المبرر انتفت تهمة التشبه بالكفار مع ملاحظة أن المساجد الآن مفروشة وهو مبرر آخر.

وفي ص٣٦ يورد المؤلف هذا الحديث الشريف: «إن الذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له، ويل له، ثم ويل له». إنه الذي يكذب عندما يحدث.

هذا لا يعني التمثيل لذاته، . هذا عن المتحدث في مجلس أو ندوة أو صف دراسي أو شارع أو على المسرح أو على الشاشة أو غير ذلك، فيقول كلاما مكذوبا يتوقع الناس صدقه وحصوله، وهو يعلم أنه

كاذب، ولكنه يقوله ليضحك القوم.

ويورد المؤلف أيضاً في نفس الصفحة قول ابن مسعود: «إن الكذب لا يصلح في جد ولا هزل، ولا يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه».

التمثيل يعلم مشاهده صبيا كان أو كهلا أنه لا خدعة فيه بدعوى أن ما فيه حقيقة وليس تمثيلاً، والكذب في وقائعه التاريخية مثل الكذب في كتب التاريخ ووسائل الإعلام الأخرى يقصر الحكم على ما كذب فيه لا على الوسيلة ذاتها إذا استعملت في غير الكذب.

ووعد الصبي بشيء مع عدم إنجازه تربية سيئة على الخداع وعدم الوفاء بالوعد، وعلى التغرير وفقدان الثقة.

والصدق، فهل هذه الصفات ملازمة للتمثيل في كل أموره؟! ومن الواضح أن وعد الصبي بما لم ولن ينجز لم يجر على المسرح وإنما في واقع الحياة اليومية العادية. فما علاقة التمثيل بذلك، ولم يجرّم بفعل غيره، ويبرأ المذنب بالقاء تهمته وخطيئته على التمثيل. وفي ص٤٨ يقول المؤلف الكريم: «يظهر أن التمثيل، قد يجمع أسباب التحريم الثلاثة:

١ ـ لذاته.

٢ ـ ولموضوعه.

٣ ـ ولما يفضي اليه.

وأنه لا تنفك الحرمة عنه، إن حالا أو مآلا».

وهنا يوجد الإحساس بلبس لغوى،

فقـول: «قد يجمع» مفهوم المراد يتطلب حذف «قـد» التي «للتقليل» أو أن يحول الفعـل المضـارع إلى ماضي ليكون: أن التمثيل جمع، أو أن التمثيل قد جمع.

والإحـتـمالات تأتي في رقمى ٢ و٣، لكن التمثيل لذاتـه لا يقبـل إلا حكـما واحـداً، وإن ربط الحـكم على التمثيل لذاته بموضوعه أو ما يفضي اليه أو بعض وسائله وما يربط به، لم يأخذ حكما نابعا من ذاته، وإنما بما يطرأ عليه، وإذا حكم على التمثيل في ذاته بالتحريم كفى ذلك للإمتنـاع والإقـلاع عنه، لكن أين الدليل على حرمة التمثيل لذات التمثيل. بشرط ألا يكـون الدليل معتسف التأويل تُلوى فيه أعناق الكلمات ومعانيها لتعني ما يريده

المستدل ولو لم تدل على ما استدل بها عليه.

هل يسمح لنا الشيخ الكريم في استشهاده بالحديث الشريف الذي منه: «ولا يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه» إن نستعير منه بعض تعبيراته عن الإستدلال بأدلة غير مطابقة، وقياسات غير مستكملة شروط أو وجوه القياس.

يقول الشيخ:

١ ـ «فهذا لا يمكن قبوله» ص٥٠.

٢ ـ «ينتج عن هذا أنها وسيلة محدثة فهي رد والله أعلم». ص٥١.

٣ ـ «فهذا مقدوح بما تقدم لك من علة التشبه». ص٥١.

٤ ـ «فهذا قياس مقدوح فيه بقيام الفارق

بين المقيس والمقيس عليه . . » ص٥١ .

٥ ـ «فقياس فاسد» ص٥٢ و ص٥٣ .

٦ ـ «أنه قياس فاسد لاختلال ركنه وشرطه» ص٥٤ .

٧ ـ «من القياس الباطل، الفاقد لشرطه، المختل ركنه إذ أنه مقدوح فيه، وذلك بالفرقان بين المقيس والمقيس عليه» ص٥٤ .

وكذلك نستعير بعض هذه التعبيرات لقوله في أعلى ص٤٣ : «فبالأمس (الحديث الموضوع) واليوم (التمثيل المكذوب) كلا أو بعضا وجعله قربة يحبب الإسلام إلى النفوس؟» .

والقياس الباطل هنا، المختل ركنه، الفاقد لشرطه، ربط التمثيل الذي فيه

اختلاف آراء بالحديث الموضوع الذي لا خلاف عليه، ومن خالف شذ وعارضته الأدلة المتواترة والصحيحة.

الحديث الموضوع اختلاق قول أو عمل على أنه من رسول الله ﷺ المشرع لأمة الإسلام بإذن ربه، أما التمثيل فعادة دنيوية كغيرها للتشقيف والترويح والتنويع، فيها شر يمكن محاربته، وفيها خير يمكن حمايته، والكذب فيها حكمه حكم الكذب في غيرها.

ويقول الشيخ الكريم في ص٤٤: «والتمثيل في نظر المجيز (درس هادف) ومستحب ومرغوب فيه فهل يقول عاقل سليم الفطرة بعقدها في رحاب المساجد اللهم لا وإن فطرة المسلمين تأبى هذا،

ولا عبرة بمن مالت به الأهواء فتردّى».

التمثيل كالشعر، لا هو عبادة، وهو عادة أو عمل، حسنه حسن مستحسن وفيه خير، وسيئه سيء فيه عقاب وشر.

والندوات الشعرية والتمثيل لا يحرمان بعلة عدم عقدهما في رحاب المساجد، ولا يعني ذلك أنهما عمل غير هادف، فالمستشفيات والمعالجات، وطلب الرزق وتسجيل العقود والمبايعات والبيع والشراء عموماً للكسب الحلال والكد من أجل الأهل والعيال، وإقامة المصانع والمعامل من الأعمال الهادفة ولكنها لا تقام في رحاب المساجد ولا يعني ذلك أنها لا تحوى دروساً هادفة مطلوبة مرغوبة، وليست الأهواء هي التي تميل لذلك بل الآراء بعد

المدارسة والمفاضلة وإلا لحق القول للآخر بأن الأهـواء تميل إلى غير ذلك. والمسألة ليست حتماً ودائماً مسألة أهواء، وإنما اجتهاد آراء تحتكم إلى الشرع الحكيم إن وجدت دليل أمر أخذت به، وإن وجدت دليل نهى أخذت بنهيه، وإن لم تجد أدلة مباشرة واضحة الأمر أو النهي عرضت الأمر على وسائل وقواعد التشريع في المباحات وجوالب المنفعة، ودارئات المضرة. تمثيل الطلبة لدور شاب لم يوجه الوجهة الحسنة، وسقط في أيدي أصحاب المخدرات، فاستغلوه أخلاقياً وماديًّا حتى سرق حلى وأثاث بيت أهله الفقراء ثم عانى كثيراً من المخدرات وأضاع مستقبله، وفر منه أصدقاء السوء غير

شاعرين بمأساته، ليبحثوا عن فريسة أخرى. ويصفو له أهله، فيحسنون اليه، رغم إساءته لنفسه ولهم، فيدرك أن الخير في طاعة الأهل، وعصيان بطانة السوء.

مثل هذه التمثيلية، هل تعد مثل: الحديث الموضوع؟!

وإن مما قد يحدث لبسا قول الشيخ الكريم: «والدعوة إلى الله توقيفية في وسيلتها وغايتها» ص٥٠.

فالشريط وسيلة من أنجح وسائل الدعوة اليوم فهل وجوده مخالف لتوقيفية الوسيلة؟

إن مما يخشى تضييق ما فيه متسع، والحجر على مالا يلزم الحجر فيه وبذلك تضيع فرص، وتوصد الأبواب أمام

منـافع، ولا تدرأ مضار بوسائل قادرة أو معينة بدعوى بدعيتها أو أنها خارجة عن التوقيفية في الوسيلة.

إن إطـلالـة قصـيرة الـزمن جداً على كتـاب: معجم المناهي اللفظية (يختص بالمنهى عنها شرعاً في نحو ٨٠٠ لفظ).

تجعلنـا مع نماذج محدودة لا تغـطية دراسية كاملة للكتـاب، تجعلنـا كقـراء نحس بشيء من تضييق متسع أحياناً وهو لا يستند إلى دليل مقنع، وعنوان الكتاب يقول أنه:

أ ـ يختص.

ب ـ بالمنهى عنها شرعا.

جـ ـ في نحو ٨٠٠ لفظ.

وفي الكتـاب كلمات وعبارات، يذكر

عنها وجهان: النهي وعدمه، ومنها ما يذكر بشأنه الجواز وأنه لا بأس به، مما يدل على عدم اختصاصه بالمنهى عنها، وعدم مطابقة العنوان للمحتوى بكامله، إلا إذا كان هذا هو الفائض عن ٨٠٠ لفظ، وهذا أيضًا لا يكفي كمبرر في مسألة دقة العنوان.

الأهم من هذا، عدم الإتفاق على وجود النواهي، وعدم الإتفاق على اعتبار النهي شاملاً دون معرفة العلة والسبب وحدود النهي.

فكلمة «واصل» أورد المؤلف الكريم عن ابن القيم رحمه الله تعالى عنها وعن غيرها قوله: «وتقسيم السائرين إلى الله تعالى إلى: طالب، وسائر، وواصل، أو

إلى: مريد ومراد تقسيم فيه مساهلة لا تقسيم حقيقي، فإن الطلب والسلوك والإرادة لو فارق العبد لانقطع عن الله بالكلية».

ويستطرد المؤلف بقوله: «ثم بين أن هذا التقسيم يكون صحيحاً باعتبار فاسداً باعتبار في مبحث مبسوط».

ولو كنا ممن يعرف الحق بالرجال لقررت متابعة ابن القيم «رحمه الله تعالى» لكن الحق يهرع اليه الجميع، والمجتهد يخطىء ويصيب، وهذه التسميات للمتعبدين لم يدل عليها دليل فكيف تصح باعتبار؟ والله أعلم.. إنتهى ص١٧٩.

١ ـ لم يوضح المؤلف الرأى في تسمية الشخص ب «واصل» لا بصفته متعبداً،

وإنما ليعطي اسماً يعرف به.

ولعل هذا من أحد الإعتبارات التي يحسن ألا تغفل ولو اقتصر القول على صفة التعبد.

٢ ـ من يصل رحمه أو يتفاءل له بأن يصل رحمه يقال له: واصل أو يسمى واصلا، ومن يقطع رحمه يكون قاطعاً لا واصلاً.

وعند أهل نجد وربما غيرهم إذا كان المرء جيداً في صلة رحمه قيل عنه نعم الرجل فلان، إنه واصل: فإن كان المراد الصفة لا الإسم فالمفروض الإيضاح بأن المراد القصر على الصفة التعبدية فقط.

٣ ـ يلاحظ أن ابن القيم ـ وهو من هو ـ لم يضيق متسعا، وإنما إعترض على الأمر

باعتبار، فإذا انتفى وجود ذلك الإعتبار، صح اللفظ بالإعتبار الآخر، ولم يلحق الصواب بالخطأ فيجمعهما في حكم الخطأ.

وفي ص١٣٣، وص٢٠٥ عن عبارة صاحب الجلالة الملك.. أورد المؤلف قول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى وهو: «لا يظهر لي أن فيها بأساً لأن له جلالة تناسبه» أ. هـ.

كما وردت هذه العبارة في ص٣٠٨ أيضًا.

وهنا ملاحظتان:

الأولى: أن المؤلف لم يذكر وجهة نظره.

الثانية: مادامت لا بأس بها فلم ذكرت في عدة مواضع من معجم المناهي المختص بالمنهى عنها.

وفي ص٢٣ ورد في معجم المناهي اللفظية: أبو عيسى وقد علق المؤلف بقوله: «كره جماعة من السلف الكنية بها، وأجازها آخرون من العلماء». وحجة الكارهين أن عيسى لا أب له، ولكن من سمى عيسى بعده له أب، وإذا كان عيسى أكبر أبنائه فإن الأب حسب عادة العرب تكنيه باسم أكبر أبنائه. وماذا عن آدم، لو سمى شخص ابنه آدم، ألا يقال له: يا أبا آدم، على اعتبار أن أبانا آدم لا أب له! فهل المسألة شرعية أم أنها وجهة نظر عابرة من عمر كموقفه من اسم إبراهيم ص٢٠.

وكم يتمنى القارىء أن يجد هذا الجهد مصروفاً للقضايا الكبيرة المهمة وبخاصة

أنــه جهـد موهـوب في تنـاول المـراجـع والتعـامل معها، فليت المعجم كان مثلاً عن الإقتصـاد والشركـات والربا والبيوع والإجــارة والمسـاقـاة والصرف والـزكـاة والصدقات والنفقات، وليس للنهي عن استعـمال مصطلح كمصطلح: الصحوة الإسلامية بتعليل تنقصه القوة.

أو أنه ـ أى المعجم كان ـ عما ينقص البــاحث كمعجم لأصـول الفقـه يبـين مصطلحاته مثل:

١ ـ العادة محكمة.

٢ ـ مالا يتم الواجب به فهو واجب.

٣ ـ درء المفسدة.

٤ ـ جلب المصلحة.

٥ ـ العلة مدار الحكم أو ما معناه.

٦ ـ عمـوم اللفظ وخصـوص السبب. والمقيد والمطلق.

٧ ـ الحكم على الشيء فرع من تصوره. وهـل بعض الأحكـام الآن تتفـرع من تصور أم من تخيل؟

وما إلى ذلك من مصطلحات أصولية فقهية وفكـرية، يحتـاجها البـاحث في موسـوعـة، ويجـد تحتهـا شرحـاً مفصـلاً للأقوال بها، وهو مع تفصيله المتعدد موجز لا يستطرد في الهامشيات، أى أن يقتصر التفصيل على المتون اللازم ذكرها، والتي إغفالها يخل.

وحبـذا لو اقتصر معجم المناهي على المناهي الشرعية بأدلتها، لا ما يراه واحد، ويرى آخرون خلاف رأيه، ومن الآخرين

المشار اليهم سابقون لهم باع طويل في العلم والفقه.

وماذا لو سار الناس على قواعد الرفض التي لا تستند كثيراً على أسس بينة، وإنما تتكىء على واهى التعليلات.

وماذا لو جاء معترض على الصفحة الخامسة من القسم الثاني من كتاب التقريب لفقه ابن قيم الجوزية، تأليف بكر عبدالله أبو زيد، فقال: ماهذه الصيغة المحدثة التي ما رأينا أحداً من السلف أتى بها، فإن قيل له: من علم حجة على من لم يعلم، ويبين له أن ذلك حصل من قبل، إن كان قد حصل. فإذ ذاك سيقول: وماذا عن الدائرة التي بوسطها سيف وريشة يتقاطعان، هذا

أشبه بشعار الشركات و «الماركات» الأوروبية، ودور النشر.

وما في كتب سلفنا مثل هذا، ثم إن ريشة الطائر لا يستطيع خلقها إلا الله سبحانه فمهما أوتى أحد البشر من قدرة لا يستطيع خلق ريشة فلم يرسم مالا يستطيع صنعه إلا الله.

إن أشهر الرسامين والنحاتين كمايكل انجلو ودافنشي لا يستطيعون خلق ريشة، ولو قدروا على رسمها، فهل نأمن ألاّ يأتي متأثر فيقترح إدخال هذا الشعار بريشته وسيفه في كتاب معجم المناهي، أو يعده من المثالب في موضوع التمثيل أو ذاته أو وسائله لو جاء هو أو مثله شعاراً لتمثيليات ولشركات تمثيل.

بدلاً من الشطط، نقول لمثل هذا، وبدلاً من التضييق على الناس والحجر عليهم، وتقليص مافيه متسع، والضغط الذي معلوم ما يولده.

وبدلاً من وأد الترويح الذي دعينا اليه حينا من أحيان على نحوٍ وبقدر، وبدلاً من الإملال الذي زُجرنا عنه لعاقبته السيئة.

بدلاً من كل ذلك علينا أن ندين أهل التمثيل ونضعف موقفهم، بأن يكون الموقف غير تعميمي، وإنما مفنداً، يقبل بجوانب النفع، وينقيها من جوانب الضرر، ويرفض كل مالا يتفق ومثل الإسلام ومبادئه على نحوٍ جازم أو راجح.

إن رفض التمثيل لم يقلل من عدد

التمثيليات والمسرحيات والأفلام بل إزدادت وزادت سوءاً، ورفض التمثيل ليس مما يواجه به قدوم البث المباشر. فقد أثبت المعترضون على التمثيل عدم قدرتهم محليًّا في العالم على إيقافه ومنع نشاطاته. وإنما ساهم الإعتراض في ألا يبقى في ميدان التمثيل إلا أسوأ العناصر وأردأ النوعيات.

فجاءت النوايا الحسنة لرافضي التمثيل بنتائج سيئة. ليس التمثيل مما يشجع عليه شباب الأمة، لكن الممثلون فعلاً هم الذين يشجعون على الخلاص من سيء التمثيل والتمثيليات إلى مالا شوائب فيه وإلى ما فيه أهداف طيبة.

ليس من الخلق والقيم تشجيع الشباب

المسلم على احـتراف التمثيل، لكن من يحترف التمثيل أو يهواه. يمكن أن يقال له عليك بانقاذ نفسك وسمعتك وبنى أمتك من اشـتراكـك في تثيليات منحرفة، إننا نشـاهـد تمثيليات عربية، تشجـع وتـبرز السجائر وكأنها مظهر رجولة، وأخرى لابد وأن يظهر فيه سرير النوم المزدوج، وكأنه من ضرورات الـتـمـثـيل، وسـيارات الإسعـاف ليست مما شعـارهـا الهـلال، وتمثيليات تُدعى بدوية عربية، وهي حتى في لهجتها ليست لنا ولا تمثل مجتمعنا، ومع ذلـك فكل ما فيها إسفاف في إسفاف، ومعـظمهـا يدور حول العشق، وأن أبـا البنت سيزوجهـا من ابن عمهـا أو من شخص آخـر لا تحبـه، وهـذه يعالج بها

فراغات المراهقين والمراهقات. وحتى العلاقات الأسرية ليست مما يصور واقع علاقاتنا الأسرية ببعضنا بما فيها من مروءة وحياء وإيثار وتكافل وقد يستثنى بعض تمثيليات كتمثيلياتٍ سورية أحياناً، مع ما فيها من مخالفات.

هذه التمثيليات والبث المباشر إن كانت مواجهتهما ألا يرى الصغار التلفعيون، فإن خطورة أخرى ستنجم عن ذلك، وهو ذهاب الصغار وبخاصة الشباب إلى جيرانهم ومع أصدقائهم، وربما جر الشر إلى ماهو أشر. ولا يقاوم شرور التمثيل المنع الباتر حتى لنقيه، فإن هذا الموقف مدان فكرياً وعقلياً بعدم الوقوف على أرضية صلبة من التبرير